

المحافظة على التراث والاصالة

بقلم / رئيس التحرير

معاني حريتنا ، فلا ينبغي ان نسد نوافذنا في وجه كل شمس العالم . بيد ان تلك الشمس يجب الا تبهر انظارنا بحيث نضل قادرين على ان نقوم باختيارنا ، واول شرط في هذا الاتجاه ان نرجع الى حضارتنا ، الى تراثنا الذي يقف كفاح شعبنا في البحر والبر اعمدة راسخة له . . . وعندما نحيط بتراثنا الادبي والفني والكفاحي قبل كل شيء ، سلتصيح اختيارنا اسلم ونوجهاتنا اكثر عدالة .

فالعودة الى التراث ، هي قبل كل شيء ، العودة الى الشعب ، بادبه ، بفنه ، بكفاحه . وعندما يتحقق ذلك ، نكون قد اصلنا ثقافتنا ، وساهمنا — مع اشقائنا من ابناء الشعب العربي في بناء صرح جديد لحضارة عربية حديثة . ومن البديهي ان هذه الحضارة لن تكتب لها الحياة مالم تجد مرتكزاتها في الحضارة العربية التي نشرت الوعي الى خارج حدود الامة العربية ، ونقلت الى العالم اجمع خلاصات الحضارات الكبرى عبر التاريخ .

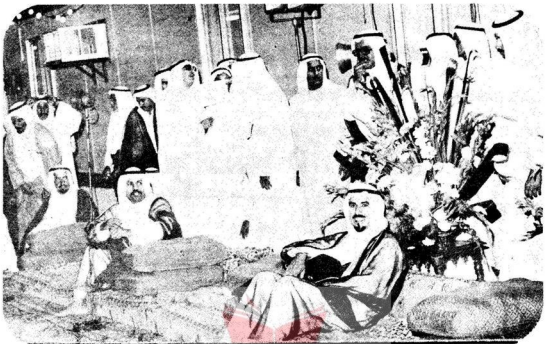
وهكذا فان العودة الى منابع الادب الشعبي ، ممثلة في شعر النبط ، والى منابع كفاح شعبنا وفنونه ، ممثلة بجزء اساسي منها وهي حياة رجال الفصوص والبحر ، تعكس في حقيقة الامر حاجتنا الماسة في هذه المرحلة الى اتخاذ الاساليب الكفيلة بالحفاظ على تراثنا وحضارتنا ، او على الاصح على اصلنا ، ومن ثم ذاتنا .

سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ، بادر بافتتاح ديوانية لشعراء النبط ، ثم ما لبث ان عزز سموه هذه المبادرة بقرار آخر لدراسة اقامة ديوانية لرجال البحر من عاشوا فترة الفوص . واختار لاجراء هذه الديوانية الى حيز الواقع واحدا من الذين بذلوا جهدا طيبا في دراسة تاريخ الكويت وهو السيد سيف مرزوق الشعلان .

هذه المبادرة من قبل الدولة للفت الانتباه الى قيمة التراث ، هي في الحقيقة قبل ان تكون اجراء رسميا قصد منه توفير مننديات لشعراء النبط اللقاء والتفاعل او صيغة جديدة يلتقي ضمنها رجال البحر الذين عاشوا في حالة كفاح وعرق يدين لهما تاريخ هذا الشعب ، نقول قبل ذلك هي في الحقيقة دعوة صريحة بكل ما تعنيه تلك الكلمة من مسؤولية ابداعية وقومية للمثقفين وللؤسسات العاملة في مبادير الثقافة والفن والفكر ، لاعطاء التراث الوطني بمجمله قسطا واسعا من الاهتمام والاهمية .

فالتوجه نحو التراث في بلد مثل الكويت ، امر حيوي ، وربما كان اوانه اليوم قبل غد . فمجتمعا الجديد ، بما توفر له من قدرات اقتصادية ومن اتصال بالعالم الخارجي جعل احيائنا متصلة على نحو او اخر بكل التيارات ، والى حد ما بكل الحضارات . ومع اننا ينبغي ان نشدد على القدرة الانتقائية في وجه زحف الحضارة الغربية المهيمنة ، فلا بد ان نؤكد اولا ان ذلك ليس عيبا ، بل هو ظاهرة صحية ، وتكمن فيها احدى





• سمو ولي العهد وجانبه نواف الأحمد ومن حولها لتبصير من الشعراء وذاكرة الشعر

ديوانية شعراء النبط

فقد سجل هؤلاء الشعراء جميع أحداث البلاد الهامة ومعاركها وتاريخ شخصياتها ، في قصائد كثيرة تنقل الوقائع والتفاصيل بدقة وأمانة . ومن هنا فهي خير عون لكل مؤرخ » .
والديوانية مهمة لأنها تحافظ على التراث ، وتنفذ ما يمكن أن ينقذ منه قبل الضياع ، خاصة أن عددا كبيرا من الشعراء الشعبيين لا يجيدون الكتابة والقراءة . ولهذا فالشعر

ومن ثم يعني بنشر الأدب الشعبي وجميعه .

وقد تحدث الشاعر عبد الله الدويش الذي يعتبر من أبرز شعراء النبط عن هذه الندوة فقال : « أن هذه الديوانية تجمع شعراء النبط وبالتالي فهي تساهم مساهمة كبيرة في الحفاظ على التراث ، إذ أن شعراء النبط يمكن أن نفتخرهم مرجعا مهما لكل مؤرخ يتصدى لكتابة تاريخ الكويت .

افتتحت ديوانية خاصة في الأسبوع الماضي كمندى يلتقي فيه شعراء البادية ، المعروفون بشعراء النبط ، وذلك تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح . وكانت تلك لفحة طيبة من سموه في طريق اهتمام الدولة للحفاظ على التراث وجمع الشعراء الشعبيين بواسطة جمعية أو منتدى عام يتيح لهم اللقاء والتبادل

هي منتدى يربط بين هؤلاء الشعراء ويساعدهم على وضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على ادبهم ، ويكفل نشره واستقراره واستمراره .



الشاعر عبدالله الدويش

يقول عبد الله الدويش «ان خطوة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء بافتتاح الديوانية ورعايتها كانت هامة وضرورية ، وهي ثم عن تفكير مخلص بتراننا الذي بدأت حيات عناقيده تتساقط دون ان تجد المحاولات الجادة لحفظها . وشعراء النبط يملكون الحس المرفه ويتفعلون مع احداث امتهم ، لكن وللأسف معظمهم لا يجيدون القراءة والكتابة ، والقاصد محفظة في صدورهم فقط ولدى بعض الرواة . ومن الواضح ان غياب هؤلاء الرواة يهدد التراث برمته . ومن هنا ، فان هذه الديوانية

النبطي هو في حقيقة الامر غير مدون مع ان الشاعر عبد الله الدويش نفسه قام بجمع عدد من القصائد والمواويل ، وطبعها في كتب ودواوين من هنا تأتي اهمية هذه الديوانية بانها قد تصبح بفضل الرعاية الخاصة التي يشملها بها سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح ، وبفضل القائمين عليها ، قادرة على تدوين هذا الشعر وجمعه من مصادره ، لاسيما ان عددا كبيرا من شعراء البادية مازال يحفظ الاشعار الهامة من ادب النبط الشعبي .



● الشيخ مشعل الاحمد يلقي كلمته



● سمو ولي العهد يتلقى قصائد الشعر النبطي .



● سمو الشيخ جابر الاحمد لدى وصوله الى الديوانية .



● شعراء النبط يلتقون تصالدهم ...

سورة سليمان للامام

شعر
حسن النجار

قبل قيام الزمن الواحد ، راودت
الخيوط الابيض والاسود ، راودت
القار على جسدي والصيف يعيد لي
الشمس الحمراء وفي حلب يطهون الماء على اسمي —
كان سليمان الابن يسوي طرف عيائه —
الحبة (يا امرأة بلبسها الرب العاشق)
يدخل في سعة الميدان الى طرف الدائرة
الحريراء وينزع ريشة كفيه فنبثق في لحم
الحبة اسماء بلاد اهله بالوقت القادم ،
(قائمة الاسماء هنا)
وينادي خضرة عينيها بين الاسماء الموقوتة ،
يتسبتر في ثوب الريح على ظهر جواد من حلب
(في حلب يسقون الخيل دما) يصعد قلب
الدائرة الحمراء (وفي حلب يمضون الليلة
طوافين على البيت الشاغر تسكنه جوقات
الرغبة ، يقبلان الدعوة للرقص فيرقصن
على دقات الشمس الحمراء)
يشد الارض بنعليه ويكشف عن وجه
حليبي ، صوت حليبي ، يفتح دفتري
السري ويقرأ :
— في حلب يسقون الخيل دما
والصيف يعيد لي الشمس الحمراء
فاطهو سنبلة الشمس الحمراء على
ظهر جواد من حلب —

كان سليمان الابن يزور امرأة الرؤيا
في الليل ، يسوي طرف عيائه وينادي
خضرة عينيها يفتح الباب ويدخل ،
ينزع ريشة كفيه على طرف المشي
فتفتك الارواح السرية ، تعطيه قبصا
مبلولا ورغيفا مبلولا وكتابا يقرأ فيه
السورة مرات ، يتباطأ خلف قرابة
نضيها ويحاول خضرة عينيها ، يكتب
شيئا منفلا فوق دواليب الجسد المفتوحة ،
كان سليمان الابن على عجل اعطاها
زندا منفردا ، صوتا منفردا ،
(قائمة الاسماء هنا فانتظري الساعة)
ماثسته الى طرف المشي ، سوت اطراف
القدمين على جرف الارض المشقوقة ،
— محروس من عين الحاسد —
تتشقه العشق الوطني وتنسى ربطة
نضيها عند التوديع
كان سليمان الابن يقول الشيء الواحد مرات ،
يتحسس دائرة القلب الحمراء ويدعو
خضرة عينيها بين الالوان المحظورة ،
يدخل في سعة الوجد الى حلقات الدرس
المعقودة ، يجلس بين الاسماء الموصولة ،
يقرأ في اللوح المكتوب :
— هنا امرأة الرؤيا شبت طفلتها
دون العشرين ، تزوجت الطفلة من



ARCHIVE

<http://archivebeta.sakhril.com>

محمود حسن اسماعيل

المسافر أبداً

وعمر أبو ريشة ، والسياب ، وعلى محمود طه ، وأبو القاسم الشابي ، سيظل محمود حسن اسماعيل ، بآثاره الخالدة قمة إلى جانبهم ، ولونا منفردا ، كان دائما قادرا على أحداث الرعدة من خلال انغام متناسقة تنقلك إلى عالم روحاني صوفي على نحو ما يركب عناصر اللاحسوس ، ويجسد الجرد وينتقي بظاهرة غريبة ، أدواته اللغوية :

اتعرفين ؟

أين مفتاح بابي ؟

سقط احد فرسان الشعر بعد أن ملأ الساحة نغما وخيالا . وغاب المسافر الإبداعي في رحلة الالعودة .

الشاعر الذي ارتحل عبر القرون والحضارات وعاد إلى أبناء العروبة من الخليج والمحيط يغني ذكرياته ، دخل بالأمس رحلة المجهول التي لا يعرف عنها البشر شيئا سوى أنها اكبر الحقائق وأن كانت أبرها .

وغيب الثرى محمود حسن اسماعيل ، احد فرسان الشعر على مدى خمسين عاما بين الرواد من شوقي وحافظ إلى بدوي الجبل ، وإبراهيم ناجي ، ونديم محمد

واين الطريق الى جنتي او يبابي ؟

واين الحقائق ؟ اين الحرائق ؟

اين الحقائق .. مصلوبة

بين عصري وبيني

واين اختلاجات روحي

واخبارها حائضات السفوح

تجيء وتمضي وترنو وتغضي

وفي غمها السر .. هيهات يغضي .

وبعد نكسة عام ١٩٦٧ احس محمود حسن اسماعيل كغيره ، من مثقفي العربية ، بالفقرية . فالمسجد الاتصى بها يمثل من رمز للزمان والمكان ، او على الاصح للارض والحضارة ، صمت الحان اذانه ، والطيور الصداحة حول القبة نفرت ذعرا من الطفيلان وغريدة المحتل وغنى الشاعر الكبير للمسجد الاتصى وللفلسطين والعروبة وتعتبر قصيدته « الاذان الجريح » التي القاها في ربيع العام الماضي بمقر رابطة الادباء في الكويت واحدة من ابرز الشواهد التي عكبت آلام امة مسحوتة في ضمير شاعر ، تذر نفسه لخدمتها وخدمة قضايها .

ولد محمود حسن اسماعيل في صعيد مصر ، وصدر له اول ديوان عام ١٩٣٤ (اغاني الكوخ) وبعد ثلاثة اعوام صدر له ديوان اخر بعنوان « هكذا اغني » ثم تالت دواوينه « ابن المغر » ، « نار واصفاد » « قاب قوسين » ، « لا بد » ، « التائهون » ، « صلاة ورفض » « نهر الحقيقة » و « هدير البرزخ » .

تنضح اشعار محمود حسن اسماعيل الاولى بنكهة ريف مصر ممزوجة بطوقس العبادات على ضفتي الوادي عبر ترون محبقة وتنبض بنفس شرقي محض، يرتكز الى ثقافة عربية واسلامية اصيلة ، وكانست اشعاره في هذه المرحلة كلاسيكية الشكل ، غير انها ابداعية الصورة والنغم والابتعاد ، وتطرح امام قرائها بالرغم من نمطية الشكل ، حضور شاعر مرهف فنان بحق .

اقبلي كالصلاة ، رقرقها التسـ

ك بمحراب عابد مقبـل

اقبلي اية من الله عليا

رفها للوجود وحـي منزل

اقبلي فالجراح ظباي ، وكاس الـ

حب تكلى والتسـر ناي معطل

انت لحن على فـي عبقري

وانا في حدائق الله بلبل

اقبلي قبل ان تبيل بنا الريح

ويهوي بنا الفناء المعجل

انت نـبـي وايتـي وظلالـي

وخبلي وجدولي التسلسل

انت لي واحة اقـى اليها

وهجر الاسـي بجني مشـل

انت ترنيمة الهـوء بشعري

وانا الشاعر الحزين المبلـل

انت قـويدة الخيال لاحـزا

ني ، باطـياف نورها اتـعلـل

انت كاسـي وكـرمـي ومـدامـي

والظلا من يدك سكر محـل

بيد ان محمود حسن اسماعيل كان تواقا للتطوور والانفتاح على اساق التجارب الشعرية الجديدة والخروج من القيود ، اية قيود ، لان ذلك اول مقومات الحرية واساس كل تجربة فنية اصيلة .

ومع الانفتاح على التجارب الحديثة ، فان شاعرنا ظل يحتفظ لنفسه بنكهة خاصة تميزه بين هذه التجارب وتؤكد اصالة شخصيته امام الالوان المتعددة كومن ابرز تلك المقومات ذلك القابوس الشعري الخاص ، قابوس فريد الابعاء والمدلول ، قابوس من الالفاظ المشحونة التي تنقل صورها ورموزها الى الاحاسيس ولكنها لا تكشف جوهر مضامينها الا اولئك الذين يستطيعون ان يسبروا اغوار هذا الشاعر ويمثلوا طبيعة وجدانه الشعري .

ومن ابرز خصائص شعره ذلك البحث الدائب عن السر ، عن الكينونة ، عن المصير ، كان فردا من عالم كبير ولكنه كان يريد ان يكشف سر ذلك العالم بنفسه .

عينان

انا والمائي والحياة

وسر في طوايا القفوس يخفيه برقع

كلما سله شعاعي من الليل

على موضع ، يداريه موضع

لست في حيرة ، ولا في وقوف

فمع الله نظرتي تتطلع

كلما فر طائر ، حاصرته

فاتها من حالك اتيه يخضع

هداة وانطلاقة

واذا التور على الدرب

يستهل ويسطع

قضى الجزء الاخير من حياته هنا بيننا في الكويت،

وكان كالمطر المنير يشع في كل مجلس ادبي يضمه .

وتداعى اصداؤه وعشاق شعره الى تاليه في حفل

مهيب ، ضم نخبة من الابداء والشعراء في الكويت

ومصر العربية ، وبكى الجميع ذلك الشاعر الكبير الذي

كان مدرسة متميزة . كان في الحفل كل الابداء والشعراء

واستعادوا مع المتحدثين الذين ابناو الفقيه الكبير

لحظات خاطفة مضى بها العمر مع محمود حسن

اسماعيل .

ابن الفقيه الشعراء يعقوب السبيعي ، وفاضل خلف

وعبد الله السنان محيد ، وتحدث الدكتور عبد العزيز

كامل طويلا عن فكريات مؤثرة مع الشاعر الراحل ،

وكذلك نعل الدكتور حسين مؤنس ، وغيرهم ممن حضروا

حفل تأبين الفقيه الراحل .

و « البيان » اذ تعتز بصلتها بالفقيه الراحل ابراهيم

وجوده في الكويت ، تبادر الى نشر هذه القصيدة التي

كتبها بخط يده واعطاها قبل وفاته بقليل الى صديقه

الاستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة التربية .

«البيان»

عينانك قبّان في زمني المير هاديان ..

وشعاعان من الطيارة ، والقداسة ، والحفان

وكيفنان يواهي سجا ، عذراء الجنان

سر الإله راغبت الغيب معصم الأسان

أشحت خيالي منظر ، في وحدتي ، انشودان

فماذا كنت على رباب ، لم تدمت بنا ..

عينانك لو تدرين - في صم ، عمري جنات

وحجرتان ، بعالم فوق العيوب ، رهيبات

بالحب ، والرفق ، والسر المحرق تحفان

الله أكبر !! بل هما من ناع ، ربك قمتان

وهما لروح في أنا الخاف لديك ، عبادان

بل نشوان ، وسجنان ، وفشان ، وتوبان

وهما لجمت - لو علمت - من الضياء تمهتان

تقيان عمري . أء الدنيا وشعوة الزمان

عينان ، عباد .. لا تدرين ..

محمود حسن اسماعيل

الكلمة التي ألقاها الاستاذ فاضل خلف باسم رابطة الأدباء في حفل نائبين المرحوم محمود حسن اسماعيل فقيه الشعر والأدب

لقد كان ذلك اللقاء لقاء القلب ولم يكن لقاء العين ، وكان لقاء الروح ، ولم يكن لقاء البدن .. وابن العين من القلب ، بل ابن البدن من الروح ؟ ان حديث الليلة هو جزء من «دفتر الذكريات» الذي اعتاد المستمعون الى الاذاعة الكويتية ان ينتبعوا اثره في هذه الايام ، فلها دعائي الواجب لاقول كلمتي في هذا المنتدى الكريم، وجدت في جوانب الذاكرة صفحة مشرقة تلح في الخروج من حبسها لتكون نقطة مرسية في عالم النور، بعد ان ظلت اربعة وثلاثين عاما في طي الخفاء .. فكانت هذه الكلمات .

وجدت نفسي في غرة اكتوبر من عام ١٩٤٣ طالبا في المدرسة المباركية ، نقلت اليها من المدرسة الشرقية ، وكان للمدرسة المباركية دوي علمي باهر ، وصيت ادبي طائر .. لم يكن مثلها للمدرسة الشرقية ولا غيرها من مدارس الكويت في ذلك الزمان . وكان مدرس اللغة العربية هو الاستاذ المصري صابر الجبل الذي اخذ يحثنا على القراءة، ويدخلنا مكتبة المدرسة حيوا ، للتزود بها فيها من كتب ومجلات فريدة في جميع الفنون ، راينا بعضها في مدرستنا السابقة ، بفضل الاستاذ السوري فيصل المعظمة .. الذي كان

اربعة وثلاثون عاما مرت على يوم اللقاء الاول . اربعة وثلاثون عاما عبرت فوق جسر الزمان كما يعبر الضوء اللامح في ارجاء الكون .

كان اللقاء الاول - اذن - منذ اربعة وثلاثين عاما ، وكان اللقاء الاخير منذ اربعة شهور .. وبين اللقائين فترة طويلة في مقاييس الانسان ، ولكنها برهة وجيزة في مقاييس الزمان .

كان لقائي الاول مع محمود حسن اسماعيل في عام ١٩٤٣ .

ولكن هذا الكلام يحتاج الى تفسير .. فلا انا ذهبت الى مصر قبل عام ١٩٥٦ ولا محمود حسن اسماعيل جاء الى الكويت قبل عام ١٩٧١ ، فكيف تم ذلك اللقاء؟ ذلك اللقاء الذي كان كله خيرا علي وسعادة وبركة . لقاء حملني من عالم المجهول ليضعني في عالم معروف يسبح في لجج النور .. ولولا ذلك اللقاء لما وجدت نفسي الان اقف متكليا باسم رابطة الادباء الكويتيين امام صفوة مباركة ، من اهل الادب والفضل والعلم والاخلاق ، هم الذين يعمرون هذا الصرح المبارك في هذه الليلة الشاذية .. الشاذية بانغام محمود حسن اسماعيل ..



● الشاعر فاضل خلف

حمانا حى الاسلام والتور والهذى
فكيف غنونا للعباد غنائها
وما نحن الا مهجة من اثارها
اثار بجنيها اللظى والسائمها
نمانا تراب الخالدين وضمنها
ثرى مشرق ضم العلاء والمكارما
اذا قلب لبنان تنهد بالاسى
سمعت خفيف الارز في النيل جاهها
وان اوعشت موج الفرات كابة
رايت اساهها في ربي مصر غائما
وان اسعد مصر الليالي سمعتها
كيفنا يقبل الشرق ريان فاعما

والى آخر القصيدة التي تجاوزت الاربعين من الابيات .
وعادت قراءة القصيدة .. ثم عادت ، وطلبت من
قيم المكتبة الاساذ المصري عبد القادر سعد ، استعارة
العدد فلم يحقق طلبي ، لان خروج « الرسالة » بالذات
كان محجرا . فنسخت القصيدة وغادرت المكتبة وانشدتها
بعد ذلك على مسامع الزلاء في الصف امام الاساذ .
فكانت هذه القصيدة المفتاح الذي فتح لي كنوز الادب
العربي ، وجيبته الى الشعر حتى سهرت على مائدته في
غفوات الليل .. ثم كان من امره معي ما كان في دروب
الادب والحياة .

وكانت هذه المجلة .. مجلة « الرسالة » بعد ذلك
سبيري على مدى عشر سنوات حتى توقفت عن
الصدور في دنيا التور .

فرحم الله محمود حسن اسماعيل الشاعر العربي الخالد
الذي كانت نهاية رحلته العريضة هنا في الكويت ، منذ
اسبوعين . لقد كانت نهاية رحلة ولم تكن نهاية المطاف ..
فكل الوطن العربي دار للشاعر الخالد مدى الدهر ..
والشعر الخالد في رحلة ابدية ليس لها نهاية .

اول من حبيب الى المطلعة والثقافة العامة .
دخلت مكتبة المبريكية في اواخر شهر اكتوبر ،
وتناولت قبل كل شيء عددا من مجلة اسمها « الرسالة »
وكان هذا الاسم غريبا علي ، لم اسع به ولم اره قبل
ذلك اليوم .. وكان رقمه ٥٣٦ وتاريخه ١١ اكتوبر
١٩٤٣ .

وكانت القصيدة الوحيدة في العدد هي قصيدة هلال
شوال لمحمود حسن اسماعيل .. وقرأت :

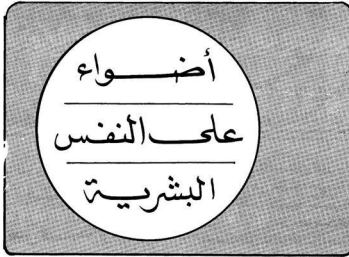
من الاحدب التشوان طاف العوالما
واوما الى الشرق المهال باسمها
يدب على ساق من التور لم يدع
على الارض ركنا مظلم الا فحوا
ويمشي كما يمشي نبي مبشر
بوحى يزف الخطو كالطيف حائما
ويرنو كما يرنو الى الله عابدا
يكاد من الاصفاء يحسب نائما
له قامة اخفت يد الدهر عودها
فهل كان شيخا من حبي الخلد قادما

الى ان يقول :

هلال يكاد المسلمون صباية
يطيرون من شوق الميه حائما
اشار لماضيهم بكف ملاكسى
ترامت حوالبه التجرم حوائما
يعاتب من اغفت عن التور عينه
وكان لشعر الله في الارض هادما

والى ان يقول :

مضى كل شعب للسما موحدا
ونحن على البلوى عشقنا التقاسما



القصيدة العينية *

للفيلسوف الكبير الأستاذ الرئيس أبي علي بن سينا

بمقام: عبد العزيز حبادو

- ٨ - نكي اذا ذكرت عهدا بالحيى
بدماع تهسى ولم تنقطع
- ٩ - وتظل ساجدة على الدمن التي
درست بتكرار الرياح الاربع
- ١٠ - اذا عاقها الشوك الكثيف وصدها
ققص عن الاوج الفسيح المربع
- ١١ - حتى اذا قرب المسير الى الحيى
ودنا الرحيل الى القضاء الاوسع
- ١٢ - وغدت مفارقة لكل مخلف
عنها ، حليف التوب ، غير مشيع
- ١٣ - هجعت ، وقد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يدرك بالميون الهجع
- ١٤ - وغدت تفرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع

- ١ - هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
- ٢ - محجوبة عن كل مقلة عارف
وهي التي سمرت ولم تبرقع
- ٣ - وصلت على كره اليك ، وربما
كرهت فراقك وهي ذات تفجع
- ٤ - انفت ، ولا انت ، فلما واصلت
الفت مجاورة الخراب الملقع
- ٥ - واظنها نسيت عهدا بالحيى
ومنازلا ، بفراقها لم تقنع
- ٦ - حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها ، بذات
- ٧ - علقت بها ثاء الثقيل ، فاصبحت
بين المعالم والطلول الخضع

- ١٥- فلأني شيء اهبطت من شامخ
عال الى قعر الحضيض الروع
١٦- ان كان اهبطها الاله لحكمة
طويت على القذ اللبيب الاروع
١٧- فهبوطها ان كان ضربة لاز
لتكون سامعة لما لم تسمع
١٨- وتعود عالة بكل خفية
في العالمين فخرقها لم يرقع
١٩- وهي التي قطع الزمان طريقها
حتى اذا غربت بغير المطلع
٢٠- فكانها ببرق تاللق بالحمى
ثم انطوى فكانه لم يلمع
٢١- انعم برد جواب ما انا غاصص
عنه فزار العلم ذات تشمشم

الشرح

١- هبطت : نزلت . التاء تعود الى الروح . والمخاطبة هو الهيكل المحسوس المعبر عنه بالبدن . والمحلل الاربع : هو العالم النوراني ، عالم الارواح . والورقاء : حامية يضرب لونها الى الرماد ويطوق جيدها ببياض . عبر بها عن النفس الناطقة ، لان هذه الحامية توصف بكثرة الشوق والحنين والبكاء على الالف المهجور .

لقد سجمت في جنح الليل حامية
على فنن وهنا وانى لتائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا
لما سبقتني بالبكاء الحائم

ولانها اذكى الطيور واسرع رجوعا الى المنزل المألوف . فكذلك النفس الناطقة ، توصف بكثرة الشوق والتحنن الى الاتصال بالمعارفات ، والتلذذ بمصاحبة الارواح والملائكة . وكذلك توصف بالبكاء على مفارقة المنزل المهجور ، وصحبة الازمة من الاحباب . كما انها تهيج الشوق ، وتبث الجوى ، وتسعد الحزين ، وتثير الطرب :

رب ورقاء هتوف بالضحي
ذات شجو هتفت في فنن
نكرت القا وخذنا صالحا
فبكت حزنا ، فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها
وبكاهها ربما ارقني
ولقد تشكو فما افهمها
ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها
وهي ايضا بالجوى تعرفني

والتعزز : من العزة بمعنى القوة والغلبة ، لانها تقدر على ادراك الابرار المشكلة ، ولانها غالبية على الجسم في التدبير .

وتنعم : اي ذات تمنع عن الاطلاع على حقيقتها ، ولذلك وقع الاختلاف في حقيقتها .

والحكمة في هبوط النفس هي اكساب بدنها الكمال لتلحق بالملائكة .

٢- قوله سمرت : اما من السفر ، بمعنى الكشف ، او من السفر الذي هو الانتقال من بلد الى بلد . اي سافرت من العالم العلوي الروحاني الى العالم السفلي الجسماني .

وقوله : ولم تتبرقع ، اي لم تحجب عن العقل . فانه يدرك وجودها بعين البصرة .

عن كل مقلة عارف ، (ويروى عن كل مقلة ناظر) : يقصد بقوله ان النفس محجوبة عن كل ناظر اليها بحاسة البصر ، فلا يراها الا من افنى عاله الجسماني بتكامل نفسه الناطقة بالعلوم والمعارف ، ورياضتها على قبول الحقائق ، وكبحها عن الشهوات ، واخذها بتأديتها بما يجب لله ولها . فهناك يعرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وكان كمن يشاهد عجائب صنعته في بدائع خلقه . ويشير بمعز البيت الى ان النفس ليست مستورة عن البدن ، كما ان البدن ليس مستورا عن النفس ، فهي لجلالها وبهاها محجوبة عن الادراك بالجوانب الظاهرة . ولكن لا يراها الا القليل من العارفين الذين سمرت لهم ، وازالت حجابها عنهم . وكان ابو يزيد يهنيها بقوله : « انسلخت من جسدي غرايت من انا » ، وقوله : « طلبت ذاتي في الكونين فما وجدتني » . واليا ايضا اشار العلاج عند صلبه بقوله :

اقتلوني يا ثنائي
وحياتي في مماتي
انا في قتلي حياتي
ومماتي في حياتي

وادراك العاقل لها . يكون بادراكه لانارها الظاهرة للعيان . وعل بعضهم عدم رؤيتها بسمو شرفها . ولعلهم ائرها اشار سيدنا علي رضي الله عنه بقوله : « ما قلعت باب خير بقوة جسمانية ، بل بقوة ملكوتية . وينفس بنور ربها مرضية » .

٤- قوله : وصلت ، اي دخلت في قالب البدن . والتنجع : التأم والتوحد . يقول : ان النفس الناطقة لما امرت بالدخول في البدن كرهت ذلك لعدم المناسبة ، لانها جسم علوي نوراني ، والجسم كثيف ظلامي . وخافت ان يعضها حقها ولا يعرف قدرها . وخشيت ان يعضها حظها من الاستنارة بالحقائق

والعلوم والمعارف والتحلي بالفضائل . ولكنها بعدد اتصالها بالبدن ودخولها فيه واستئناسها به ، كرهت فراقه ومغادرته بعد ان طال الفها به ، وصار وطنها لها . والنفس بعد اتصالها وتشبثها بالجسد تتعلق به كتعلق الصانع بالآلة التي يحتاجها في العمل او كتعلق العاشق بالمشوق عشقا الهاميا . لذلك تحزن النفس عند فراقها للجسد اعظم الحزن ، وتنام اكبر الانام .. ولقد قيل : ان الانسان مشتق من الانس لانه يناس بها يالفه . يقول المتنبي :

خلقت الوفا ، لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبي موجه القلب باكيا

وقد حكى ان افلاطون كان دائم البكاء . فسأله احد اصحابه ، فقال : « انما ابكي على مفارقة النفس للبدن ، بعد تألفها مدة طويلة » .

وفي قوله : ربما كرهت ، أشعار بان من النفوس من لا يكره الموت ، حبا للقاء الله تعالى .

٤- انتفت : الانتفاة ، الاستنكاف

البلقع : البلدة الخالية من النبات

يقول ان النفس الناطقة كانت تكره اول ما واصلت البدن ، لعدم المناسبة . واستوحشت لانها لم تألفه . ولكنها بعد ان اجبرت على الاتصال به فاذعنبت وصحبت مدة طويلة الفت مجاورته وانست به ورضيت بمواصلته لانها علمت انه آلة في تحصيلها الكمال .

وقوله : واصلت ، اشارة الى التواصل بينهما . واحتياج كل منهما الى الآخر ، لانه آلة لها ، وهي شرف وعز له . ووصف البدن بالخراب حال سلامته لما يؤول اليه من الخراب .

٥- قوله : نسيت عهدا . العهد جمع عهد . ومعناها هنا الصحبة المودة . والحيى : موضع فيه ماء وشجر وعلف . والمراد هنا ، عالم الارواح الذي هو في الروح والنزاهة مثل الحيى .

لم تنقع : اي لم ترض .

والمعنى : اظن ان النفس نسيت صحبة اهل الحيى ، ونسيت ديارا ما كانت ترضى بفراقها ساعة واحدة . ولعلمها بعد ان الفت مجاورة الجسم « الذي عبر عنه بالخراب البلقع » نسيت عهدوها بعالمها القديم ، وحباها الاصلي الذي كان يشق عليها فراقه ولا تعدل به سواه . فلقد كانت في حظيرة القدس في ذلك الحيى المخلأى بانوار العظمة والجلال ، تتبعع في بحبوحتها بنعيم دائم وعيش رغد لا تحوط به الام واكادر .

٦- قيل اراد بهاء الهبوط : المواد الجسمانية . وميم المركز : العالم الروحاني . وقيل انه اراد بها تحركها

من الملا الاعلى ، وميم مركزها مقرأها فيه . وقيل انه اراد بهاء الهبوط « الهبوط » ، وهو جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال ، ومحل للصورتين الجسمية والنوعية .

وقيل انه كنى بميم المركز عن المبدأ الاول المفيض عليها الوجود .

وقيل في وجه التعبير عن المواد الجسمانية بهاء الهبوط ، لان الهاء حرف ثقل من اقصى الحلق . فيبينها مشابهة من جهة الثقل ، ولان الهاء مركب من الدوائر الثلاث كالجسم الذي له ابعاد ثلاثة : طول وعرض وعقب . وعبر ايضا عن المواد الجسمانية في البيت الاتي بالشاء لانها ذات نقط ثلاث ، كالجسم الذي له ابعاد ثلاثة . ولان الهاء والشاء مهموزتان ضعيفتان ، كالجسم فائه ضعيف بالنسبة الى الارواح ، لما يتناول عليه من التغير .

الاجرع : مذكر الجرعاء . وذات الاجرع : في اللغة رمة لا يثبت فيها شيء ، ولا يستقر فيها الماء . ويراد بها الهبوطي او الجسم لانه مجذب غير مثير ، وهو بدون حياة النفس تفر غير مخصب .

٧- علقت بها : اي تعلقت بالورقاء .

شاء الثقل : اي المواد الجسمانية .

المعالم : جمع معلم ، وهو العلامة نفسها او موضعها الطول : جمع طلل ، وهي الشواخص الباقية من اثار ديار الحي ومواقعهم .

الخضخ : جمع خاضع ، وهو الذليل .

والمراد بشاء الثقل ، عالم الفساد او الجسم الفاني الكثيف الذي علقت بالنفس اثر هبوطها اليه ومجاورتها اياه اثار ثقله ونتائج فسادته وكثافته . فاصبحت بعد

تعلقها به وارتباطها بهذا العالم الجسداني ، والكون الثقيل الفاني ، بين المعالم الجسمانية المادية — بعد العالم الروحية الادبية — والطول الخاضعة لاعمال المادة .

المثارة بكل المؤثرات الجوية وغيرها ، والرسوم الموحشة الدراسة ، العافية الطامسة — أصبحت غير

قادرة على المفارقة ، غريبة عن وطنها الاصلي لتقبل على تزيين تلك المعالم ، وخفة هذا الثقل ، وعمران تلك الطول ، بالعمل على ما يزيل جديدها ويبدلها من وحشتها انسا . فتعود بمقتبلتها اناها العالم من الحقائق ومن عليها به من المعارف ، مسرورة بحسن ما ابلت ، وعاقبة مما جاهدت .

٨- يقول ان النفس الفاضلة حينما تنظر الى حياتها الحاضرة ، تجد انها مكيكة باغلال المادة ، معرضة لتوابها وبلوائها ، فتتصر على هذه الحال وتحزن اشد الحزن ، وتتأثر اعظم التأثر ، اذا ذكرت المهود النسي

أخذت عليها بالحصى العلوي ، والوطن النوراني ،
والمعهد القدسي .

٩- ونظـل ساجدة : من سجت الحـبابة ، اذا هـدـرت
والدمن : جـم دمنـة ، وهـو ما بـقي من اثار الدار من
الاحجار . والمراد هنا : اجزاء البدن وقواه .
والرياح الاربـع : الجنوب ، تهب من ناحية القبلة ،
والشمال ، مقابلها والـصبا ، ما تهب من ناحية المشرق
والديور تقابلها .

والمراد بالرياح هنا — كما قيل — العواصف الاربـع :
الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

شبه ابن سينا الذكريات بما بقي من اثار الديار
ورسومها لان النفس تشاهدها كأنها بيوت خاوية على
عروشها تلك البيوت التي غادرها اهله قبل ان يستوفوا
حظوظهم منها فأخنى عليها الذي أخنى على لبد .

وقد تقرر في علم النفس الحديث وثبت لدى الروحانيين
ان الادراكات الباطنة التي لها منها اثر في النفس لاتزول
بزوال البدن ولا تنحى ، فالاعمال التي يعمليها الانسان
من خير او شر تنطبع اثارها في النفس وتكتيف
بجسبها الهوية الانسانية ، وتأخذ شكلا خاصا يميزها
عن غيرها من الارواح . فغناصر هذه الهوية اذا كانت
حسنة يتمتع بها الشخص متاعا حسنا بعد الوفاة ، وان
كانت سيئة يؤكل بها عذابه ، وتنشأ منها الآلهة
واجزائه (١) .

ونعلم من هذا ايضا ان الانسان بعد وفاته لا يضيع
هويته الذاتية ولا يندمج في الروح الكلية العالمية ، بل
يكون لهويته الشخصية طابع خاص يمتاز به على غيره
وتكون هذه الهوية اشد ظهورا مما كان عليه في الدنيا ،
لان مميزات الهيات النفسية اعظم بكثير من مميزات
الاجسام .

١- اراد بالشرك الجسد ، فكأنه شرك تصب
للنفس حتى صاها ، فحبسها في قفس هيكله الجسماني
وقد افتتح التصيد بتشبيه النفس بالورقاء ، فناسب
هنا ان يجعل الجسد الكثيف شركا ، فبقيت النفس
اسيرة هذا الشرك الكثيف وحبيسة هذا القفس ، لا
تقوى على الخلاص منه ، ولا تقدر ان تستقل ناهضة
الى حياها الاول ووطنها الاصلي .

الارواح : هو المكان المرتفع ، او على الشيء ، ضد
الحضيض .

الربيع : المنزل الذي يقام فيه ، في الربيع
هنا عبر ابن سينا عن عالم الارواح بالارواح الفسيح
الربيع ، لكونه اعلى شأنا وهو في غاية الطهارة عـنـ

الكودورات الجسمانية ، تطير في رحبته طليقة حرة ،
تفرغ فيه باطبيب الاحيان واعذب الاناشيد .

١١- يقول : حتى اذا دنا مسيرها الى حياها ،
وقرب رحيلها الى العالم القدسي ، بعد طويل شوقها ،
واليوم حزنها ، وقرب الاجل الذي قدر لها ، فان القـصـ
والشرك لا ينعنان حينئذ من ان تطلق من سجنها ، الى
الحى القدسي ، وعالم الارواح الباقي ، وتهاجر من
عالم المادة والفساد ، الى الفضاء الاوسع ، والعالم
الارحب ، الذي تلاقى فيه جزاء سعيها ، وتجنـي ثـمـر
كدـها .

١٢- حليف التراب : اي معاهدة بطول المـكـت فيه .
اي صارت مفارقة للبدن واجزائه التي هي معاهدة
التراب .

غير مشايعة : اي غير متابعة للنفس الناطقة .
يعني : رجع كل الى اصله ، النفس القدسية الى
عالم الارواح ، والبدن الى التراب . وهنا ينكشف عن
النفس — بعد مفارقتها الجسد — الغطاء فتكون كمن
خرج من الظلام الى النور فتدرك ما لا يتصور ان تدركه
في حالتها الاولى .

١٣- الهجـ : جـمـع هاجـع ، وهـو النائم . والمراد
هنا : نوم الغفلة .

يقول : لما حان ارتحال النفس من البدن ، هـدـرت
شوقا الى عالم الارواح ، وادركت من النعيم ما لا يدرك
بالعيون الحسية الابصار ، كما قال تعالى : « فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (سورة ق : ٢٢) .

١٤- غدت تغرد : التغريد هو ترجيع الصوت .
ذروة الشاهق : رأس الجبل .

يقول ان هذه الورقاء ، وهي النفس الناطقة اذا
فارقت البدن وسكنت ذروة عالم الارواح ، غـدـرت
سرورا ، وترننت بشاشة ، راضية مرضية ، وطليقة
مطبنة . وهذا حال الطير اذا انطلق من سجنه ، يخلق
في الفضاء حتى يقع على ارفع شاهق ، اخذا بالثقل نفسه
وتبتعا بالفضاء الذي حرم السبح في سمته ، ثم اخذ يغرد
سرورا بخلاصه ، وغرغا بنجاحه .

وفي قوله : والعلم يرفع ، اشارة الى ان الحصول
على تلك الدرجات ، انما هو بسبب تحصيل العلوم
الحقة ، والتحلي بالفضائل ، والسعي الى الكمال .
١٥- قعر الحضيض : القعر غاية اسفل البشر . .
الحضيض : ذيل الجبل ، او المكان المنخفض ضد
الارواح . . الاخفض .

وهذا شروع في السؤال عن الحكمة الباعثة على
تعلق النفس بالبدن ، وهبوطها من عالم الارواح الرفيع
الى عالم المادة الوضع .

٢١- قوله : ذات تشعشع ، اي ذات اتقاد وانتشار غير منحصرة في واحد من العلماء حتى اذا لم اعلم انا وجه الحكمة في هبوط النفس ، لم يعلمه غيري . ويشير هذا الببت الى قول ارسطو : « يا مفيزس الكل انهبت كل غرد الى اصله » . وقول بقراط حين شرب السم : « اخلص اخلص ياكثيف ، واصعد يا من لم يقبل الانداس » ، وقول فيثاغورس : « الملك واحد والحياة عنه والاقسام اثنان وكل ما خرج من شئ عائد اليه » . وقول السهروردي : « يا نور الانوار غرق وارفع » .

ان المعاني هنا - في هذه القصيدة - ليست محصورة في الالفاظ وقوالب الجمل والتراكيب ، بل هي ادراكات معنوية بالغة من الدقة والاحاطة والتبين اقصى مداها . ففي الابيات الاخيرة من القصيدة سؤال وجواب عن حكمة نزول الروح وتعلقها بالبدن ، وان هذا حكم ازلي لتعلم ما لم تكن تعلم ، وتسع ما لم تسع ، ولتكسب الكمال الانساني ، لانها وان كانت جلية الصفات ثقية الجوهر ، الا انها ساذجة عما يضرها وينفعها . ومن القضاء والقدر الالهي انها لا تكمل الا ان تلتفت بذلك البدن لتكسبه الجلال ويكسبها المعرفة ولتصفى الى الاحسان والاموات لتعلم انها جزء من صيرير الافلاك الشريفة وتستدل بذلك على العظمة الالهية .

وجدير بالذكر ان استاذنا الجليل السيد محمود ابو الفتيح المنوفي رد على تساؤلات الرئيس ابن سينا بقصيدة سبها «تصيد الارواح» اقمح فيها عن سر ما سال عنه الفيلسوف الكبير من حكمة هبوط النفس الى عالم الكون وموطن النقص ، بعد مجاورة عالم القدس .

كما ان هناك ايضا كثيرا من القصائد في النفس منها ما يجاري فيها اصحابها قصيدة ابن سينا المعنوية ومنها ما يعارضها ، وكل له وجهة نظره الخاصة .

ومن هذه القصائد قصيدة لسيدي ابي العباس المرسى المنوفي سنة ٦٨٥ هـ . وقصيدتين للسهروردي .

وقصيدة لشيخ الحويزي المنوفي سنة ١٠٥٣ هـ وهو من افضل تلاميذ الشيخ بهاء الدين العالي ، وقصيدة لامير الشعراء المرحوم احمد شوقي . وقصيدة للمرحوم حسان حليم دهوس . وقصيدة للاستاذ الدكتور محمد رجب البيومي الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض -

امد الله في عمره ونفعنا بعلمه وادبه .

ولقد سبق ان قلنا ان الكلام عن النفس وخلودها قد تضاربت فيه الاراء والمذاهب ، والاضلطة على ذلك كثيرة جدا كما راينا . وكذلك هذه القصائد التي نونها عنها

١٦- طويت على الفذ : خفيت على الفرد الذي لا يميل له .

الاروع : الشهم الذكي الفؤاد الذي يروعك ذكاؤه .

١٧- ضربة لازب : اي نوع لازم ومحقق لا شك فيه ولا بد منه .

١٨- خرقها لم يرقع : مأخوذة من المثل السائر « اتسب الخرق على الراقع » (٢) . اي جاوز الفساد الحد فلا يرجى اصلاحه .

والمعنى : ان كان هبوط النفس على سبيل الوجوب واللزوم ، لنسجم ما لم تكن تسمعه في عالم الارواح ، وتصير عالمة بخفايا الامور وحقائق الاشياء ، في العالم العلوي والسفلي . اذ ان الكمالات العقلية غير متناهية ، ولا يمكن حصول النفس عليها جميعها في مدة الحياة .

١٩- قوله اذا غربت : المراد بالغروب هنا : انقطاع التعلق .. وبالطلوع : التعلق بالبدن . وهو اشارته الى اتساع الخرق .

٢٠- تالق بالحمي : التالق ، اللبمان . الانطواء : الانطواء .

يقول ان اتصال النفس بالبدن واتابتها في عالم الجسد ، وحلولها فيه ، ثم انقطاعها وارتحالها عنه ، بمنزلة برق لمع واضاء ثم انطوى وخفى ، وانقطع عن التالق والوميض ، في قلة الزمان .

والغرض من التشبيه ، التمثيل لقصر المدة التي تقيمها في هذا العالم ، وان حياة الانسان معها ظالمت وامدت بها الاجل اشبه ببرق تالق ثم سكن .

يفهمها ..
وهي طائفة !

● تناول الصديق الغداء مع (بيكاسو) ثم طلب اليه ان يرسم له مثلاً على احدى صفحات مفكرته فعمل الرسام الشهير بكل طيبة خاطر : فسأله الصديق عندئذ : لا تريد ان توقمها ؟ فكان جواب بيكاسو وهو يسحب حافظته تقولده من جيبه : ولكن ، يا عزيزي ، لماذا لم تقل لي بدون لف او دوران انك بحاجة الى مئة الف فرنك ؟!

تعتبر كأمثلة أخرى على هذا الخلاف في الرأي ويمكن الرجوع إليها في مصادرها .

عبد العزيز جادو
الإسكندرية

« لقد عني بهذه القصيدة الملياء في كل عصر شرحا ونقدا وتعليقا . وشروحها كثيرة ، منها : شرح ابن عربي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ في « محاضرة الإبرار » ، وابن أبي عمير المتوفى سنة ٦٦٨ هـ في « عيون الأنباء » ، وابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في « فوائد الأعيان » والياقوت المتوفى سنة ٧٢٨ هـ في « البراة الجنان » ، والدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ في « حياة الحيوان الكبرى » ، والشَّيخ داود الأنطلي الأكمه المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ ، والبيهاق المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ في « التشكول » ، وعبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة ١٠٢١ هـ في « شرح المعينة » ، وابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ في « شذرات الذهب » ، والسيد نعمه الله الجزائري المتوفى سنة ١١١٢ هـ في « مقامات النجاة » والسيد عباس المكي الصبيني المتوفى سنة ١١٢٨ هـ في « فزعة المجلس » .

وترجمها الى الفرنسية المستشرق « البارون كارا دي فو » في « المجلة الآسيوية » ٩ ، ١٨٩٩

(١) للامام الغزالي كلام كثير لطيف في هذا الباب الذي يطلق فيه حقائق الشرائع الصادقة على العقل السليم وعلم النفس الحديث .
(٢) وهو من قول ابن حمام الأزدي :
كالتوب ان نهج فيه اليلى اعبا على ذي الحيلة الصانع
كنا نداولها وقد مزقت اتسع الخرق على الرابح
راجع « جبهة الأمثال » ص ٤٢ .

جواب لاذع

● جلس الطبيب على حافة سرير المريض وقال له :
— لا يسعني ان حالك سيئة جدا :
فهل ثمة احد تود رؤيته ؟
فاجاب المريض بصوت ضعيف : اجل يا دكتور !
— ومن هو ؟
— طبيب آخر !!

يا فؤادي كم بت دون سراج
في حوار وجيرة واختلاج
تتلوى في قبضة الامواج
كم امان شيدت كالأبراج
قد تداعت كانهما من زجاج
ثم يوما عند احتدام الاحاجي
لاح نور كالتيزك الوهاج
مزقت دونه ستور الدياجي

انت اودعت في خبايا ضميري
يا الهي نارا تفيض بنور
فاذا ما انتفضت كالسعود
مستقيما بخالقي ونصيري
ونصبت المداء للديجور
والظواغيب والخناس والزور
فانا في شعائري وشعوري
قبس من سنائك المتشور

ان هوى في الضلال غرو حائر
وتردى في غيه كل كافر
فلكم في الانام تعمى النواظر
بينما نورك الالهى سافر
ليس يخفى على التهى والبصائر
ايضا سرت فهو حولي سائر
فائقن كان للضلالة عائر
اي عذر لن له قلب شاعر
شهاب غانم



<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

البرقية

بقلم: احمد فارس

الكثيرة التي خلفها قدوم القطار .
وفجأة توقف ونظر خلفه ، ولكنه لم يجد
صديقه الذي كان معه في القطار فقد
غاب عن الانتظار وسط الجوع والفقر
من المستقبلين . انتظر برهة على مجده
ولكنه لم يجد له اثرا .
وقف محسن في مكانه ينتظر وينتظر
وانفض الناس من حوله ، ولكن

امامه ، فهاهو احدهم يلوح بيده من
بعيد لفتاة شابة تبدو انها زوجته او
خطيبته ، وذاك طفل يصرخ ماما —
ماما ، وهناك عجوز ضم الى صدره
شابا يبدو انه ابنه ، وعلى البعد وقف
شاب بجانب عدد من الحقائق يساوم
حبالا عجوزا . تحرك من مكانه ولكنه
بقي يجيل الطرف في تلك اللوحات

عندما وصل القطار الى المحطة
اختلف الحابل بالنابل ، فقد اندفع
المستقبلون نحو العربات لاستقبال
القادمين .

هبط محسن من العربة وجمال
ببصره في ارجاء المحطة الفخية ، حيث
انتشر الناس في ارجائها . وراح ينظر
الى اللوحات التي اخذت ترتسم

الصديق لم يظهر بل اختفى . وتابع سيره نحو الباب على أمل ان يراه هناك بانتظاره ، ولكن ما ان وصله حتى خاب غاله من جديد .

لم يدر ما يفعل لينتظر ام ينطلق ؟ . عندما قطع كل امل في العثور عليه خرج الى الشارع حيث كانت ارتال من سيارات التاكسي تنتظر الركاب . اراد ان يصعد الى احداها ولكنه نسي اللحظة الاخيرة عدل وفضل السير على اقدام .

كان الهدوء يخيم على المدينة والظلام الدامس يلغى ورذاذ المطر يتناثر مع وقع الرياح الخفيفة ، بينما راح القمر يثيب في طيات السحاب الفضيفة فتبدو بعض اطرافه بين الحين والحين . وضع محسن كفيه في جيبه بعد ان احس ببرودة لاذعة تلسع وجهه ويرد قارس يسري في انابله ، انطلق يسير ببطة جاراً قديمه وكأنه يجر معها يوم الحياة بأكملها . كيف لا ؟ وهو الذي يتوجه الى اسرة صديقه ماجد ليخبرهم بان ابنهم الوحيد قد استشهد وهو يدافع عن وطنه .

قال يحدث نفسه اليس في هذا ما يزعج ؟ اليس في هذا ما يجعل المرء يسير ببطة وكأنه يساق للموت لكن الله الحظ لم وقع الاختيار على لاجل هذا الخبر المؤلم لهذه العائلة . . وجاءه الجواب : انها الاوامر العسكرية ، فقد صدرت من رئيسه ان يقوم وصديقه الذي ضاع منذ حين بتبليغ ابن ماجد وتغيبه الام الصمية القاسية ، وما عليه الا ان يفعل ذلك بمفرده .

تابع سيره عبر الزاوية الضيقة حيث كانت القطط والكلاب تبحث عن قوت لها بين النفايات . وراح يفكر : كيف ساصبح الخبر ؟ ماذا سأتول ؟ كيف ابدا ؟ اقرن حديثي باية من ايات الله ؟ ام بحديث اميها ؟ .

تري كيف سيكون وقع الخبر على

الاب والام والاخوات ؟ وقطع حبل تفكيره ، عواء كلب كادت قدمه ان تطاه في الظلمة ، ولعن في سره هذه الحارة التي لم تلبسها بد الحضارة منذ مئات السنين . . ولعن الدولة التي تترك مصابيح الكهرباء المحروقة دون تغيير . وراح يتحسس طريقه في الظلمة تحت الرذاذ الذي لم ينقطع .

ها هو ذا يقترب من زقاق اهل ماجد ، فتحت ذلك الصباح البعيد الخافت كانت تشهد سهرات اطفال الحي ايام رمضان والاعياد . وعند تلك الزاوية باح له ماجد في احدى المرات بجبه لابنة الحارس ابو علي وعلى جدار المدرسة الذي لا يبعد سوى بضع خطوات خطأ معا كلمة (مدرسة) بقلم الرصاص ولا تزال اثار الكتابة باقية على الرغم من مرور اكثر من خمس سنوات على كتابتها . تذكر محسن كل هذا وتذكر كيف انه نسي احدى المرات كاد ان يتورط ويقتل

لمجد انني احب شقيقك سلمى ، ولكنه امسك في اللحظة الأخيرة وطوى سره بين جناحيه . . لقد احبها عندما كانت تذهب الى المدرسة وكاد هذا الحب ان يسفر عن لقاء بينهما ، ولكن ما ان وصلت الى الصف السادس حتى اخرجها ابوها من المدرسة . فابو ماجد ليس من انصار ان تتعلم الفتاة الى اكثر من ذلك . . ها هي سلمى واخواتها قد تزوجن وورقن ببنت وبنتين . تبسم محسن وهو يتذكر هذه الاشياء الصبائية وتساءل : ابن المعقول ان اسمي هذا حبا ؟ لقد كان ماجد اجرا مني فقد اتفرد بابنة الحارس وتحدث معها وبها وواجب قلبه بل انه تجرأ في احدى المرات وقبلها . لقد بادلتها الحب وتواعدا على الزواج ، ولكن بعد الانتهاء من الخدمة . . وتوقف محسن عن الإبتسام وقتل يحدث نفسه لقد انتهى من الخدمة السي الايد . . انه الان في الجنة ، لقد استبدل ابنة الحارس بحورية .

تري كيف سيكون وقع الخبر على فاطمة بنت الحارس عندما تعلم بان ماجدا قد خاتنها وتزوج بحورية . . لا بد انها ستنتحر . . انها تحبه حبا لا يمكن وصفه . . انه حبا الاول والاخير . . لقد اراد والدها فسي احدى المرات ان يزوجها من موظف بسيط ، ولكنها صرخت بوجهه - انا لن اتزوج الا من احب .

لقد صعد والدها عندما سمع هذا الكلام وكاد ان ينجح وصرخ فيها انذاك ما هذا الذي اسمعه يا بنت ال . . . تخرجين عن طاعتي . . ستقتربينه غصبا عنك .

لقد حاولت الانتحار انذاك . . وعدل والدها عن فكرة تزويجها بالاكراه . . وقرر ان يخضع لرغباتها فبين تختار وتريد . . تري ماذا ستقول عنه وهي التي رفضت الكثيرين بسبب لا بد انها ستقتد عقلها . . وقطع حبل تفكيره مرة ثانية صوت رجل يمر يقربه ويقول : السلام عليكم ورد التحية ولكن بعد ان ابتعد عنه الرجل عدة امتار ، غلام نفسه قائلاً : - ماذا ستقول عنى هذا الرجل الغريب لا بد انه سيقول بانه اتى التحية على انسان لا يستحقها او على ابله او عاشق . . ولكن ليقل ما يريد . عليه ان يفهم انني في محنة ولست بابله او عاشق . نظر امامه فائق الباب الذي يقصده على بعد خطوات منه ، اقترب وبدانامله المرتعشة بريد طرقة ولكن دافعا نفسيا وقف حيال ذلك . قال يخاطب نفسه : - ابئتل هذه الساعة يطرق المرء ابواب الناس ليقول - بان ابئتم قد استشهد وجاء الجواب من جديد انها الاوامر ، الاوامر وان الامر يجب ان ينفذ رغم ما فيهم الم لكلا الطرفين ، انه يكره ان تقتل الكليات من لسانه لتحذتهم بهذه المصيبة . . ولكن ما العمل ؟ وبرت فترة لا يدري كم هي ، وهو يحاور نفسه يطرُق الباب ام لا ؟

دخل ابو ماجد يحمل القهوة بيده ،
فقدتها لضيعة ، فاحسها الآخر
ولكنه لم يجد لها طعاما ، بل احس
بقطعة من العلقم تقف في حلقه وتكاد
تخنقه . سال والعرق البارد ينصب
منه :

— عمي ابا ماجد لماذا تركت ابنكم
يذهب الى الجندية بالرغم من انه
وحيد ؟ ان تواتين الجندية كما هو
معروف تعني من كان وحيدا .

— لم يكن ذلك بارادتي يا محسن
فقد ذهب بناء على رغبته . كان
يحب الجندية كثيرا ، لقد زرعت انا
عذ الحب لديه ، عندما كنت احده
عن نضالنا الشاق الطويل ضد
المحتلين الفرنسيين ، قصصت عليه
كيف كنا نقاومهم بالمعصي والحجارة ،
كيف قضينا عليهم بايماننا بقضيتنا
بارضنا ، كيف تم الجلاء ، لقد علمته
وعرست فيه تلك الفكرة التي تقول
(ان الرجل لا يصبح رجلا حقيقيا ان
لم يخدم امته ووطنه) . لقد نها هذا
الحب لديه واعطى شاره واكله . ها
انتم تحاربون اليوم ، وتنتصرون
وسيقى النصر حليفكم طالما ان هناك
شبابا يؤمنوا برعى ويحيى هذا الوطن
.. بالامس عندما جاء لزيارتنا اخبرني
عن عملية قام بها مع مجموعة من
اصدقائه الشباب خلف خطوط العدو
وذكر لي كيف قام بقتل اول صهيوني

وتعلقت عينا محسن بالصورة وبقي
واجبا ساهما ينظر وينظر . قال
يحدث نفسه ماذا سأقول لهم ؟ اقول
بان هذا الوجه الباسم قد ضمه الترى
وان تلك الابتسامة قد ذبلت . كيف ؟
كيف ؟ وطلعت دموعه بثلث خسده
ما لبث ان مسحها بسرعة خشية ان
يكشف امره .

ودخل ابو ماجد وجلس الى جانبه
وهو يقول — اهلا وسهلا يا بني كيف
حالك ؟

— انه والحمد لله على ما يرام .
— وكيف حال من قدمت من عندهم
— ايضا على ما يرام .
— وماجد كيف هو ؟ وما هي اخباره ؟
تلعثم وبدا الاضطراب باديا على
حياته ، وشعر بالكلمات تنزلق
وتساب انسباب المياه هازا رأسه
انه بخير بخير ..

— الم يخبرك متى سيتهي من
الخدمة ويعود الينا ؟ اننا نعد له الايام
والساعات .
— اخبرني ، انه سيعود اليكم
قريبا .. من المحتل في نهاية هذا
الشهر .. لقد انتهت خلافه للابد .
فقتر ابو ماجد من مكانه وقد اترسبت
على وجهه امارات الفرح الطفولي .
— بشرتني بخير يا بني ان شاء الله
عندك .

وانتفض محسن من مكانه بحركة
لا شعورية وانعد لسانه وجف
جلقه ولم يعد يدري ما يقول ، ويقول
أمين ام لا سبح الله ؟ وتمتم بكلمات
غير مفهومة .

وخرج ابو ماجد من الغرفة مهرولا
قائلا : غوا يا بني ساعود حالا .
وما لبث محسن ان سمع زغاريد
تشق سكون الليل وتتعالى نسي
نفس الدار . وشعر كان المستفدع
هبط فوقه وانه لم يعد يستطيع
حراكا لقد وقع مأزق حرج ليس
يستطيع مجابته بعد الذي حدث ،
وما عليه الا ان يخرج من هذه
الورطة .

وتباك في النهاية اعصابه وقرر ان
يلتهم الخبز . وطرق الباب بمعصية
طرقة تلنها طرقات ، ومرت فقرة
صمت شعر خلالها انه قد مضى قرن
على وقوفه بهذا الباب . وفتح الباب
وخرج منه رجل مالت شمسه نحو
المغيب قد ناهز السبعين ذو لحية
بيضاء يسلم بالنور .

قال الرجل بصوت هادي رزين
وهو يمد يده :

— محسن اهلا بك يا بني .
— اهلا بك يا عمي كيف حالك ؟
— انه على ما يرام — خير ان شاء
الله ، هل من رسالة من ماجد الينا ؟
— بلى لقد طلب مني ان امر بك
والتي التحية عليك .

— ما هذا يا بني اننا نتحدث بالباب
كالثقوة تفضل ادخل فالجو بارد كما
ترى تفضل . واستدار ابو ماجد نحو
المنزل ليفتح الطريق للضيف . واراد
محسن ان يمنعه ولكنه كان قد غاب
عن نظريه ولازال صوته الاجش
القوي يدوي بكلمة تفضل الى هنا .
دخل محسن الدار لكنه كان يحس
بثقل ملقى على كاهله ، وبانعداد في
لسانه ، وبقلبه يسرع في الخفقان
كانما يحس بالنهاية قد ادركته .
وتباك نفسه وتابع سيره في فئائها
الواسع . واثار ابو ماجد الى غرفة
في صدر الدار وقال من جديد تفضل .
دخل محسن غرفة جبهة نظيفة
هادئة ، كل شيء فيها يدل على
البساطة ، وما كالت قدماء تظن
ارضها حتى شعر بالثقل يزداد
اضاعفا وباعصابه تخور وتنهار .
وتهالك على اقرب مقعد بجانب الباب
انه في غرفة الشهيد ، انه ايام
صورته ووجهه بايتاسمته
المعروفة وجماله الهادي وشعره
الاجعد وخرج ابو ماجد من الغرفة
بعد ان اودعها ضيفه الى غرفة اخرى
ليخبر زوجه بان محسنا قد جاء
لضيافتهم .

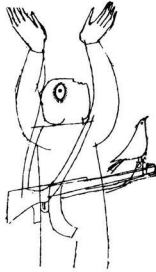


ساعة ، ولا بد ان البرق قد بلغ ابا ماجد ، ترى كيف حاله الان بعد ورود النبا ؟ لا شك ان الامال التي بناها قد تحطمت وان الوجه المصبوح الضاحك تحول الى عابس تغمره الافادي التي خلفها النبا ، والعيون البريئة تحولت الى عيون دامعة متحجرة ، والزغاريد الحلوة تحولت الى نحيب وعويل . وعاد السى التساؤل من جديد : هل اخطأت فيما فعلت يا محسن ؟ وسع الجواب : لم تخطيء انك تركه رؤية الآخرين يعذبون اباك .

وبقى ساهبا ينظر في المصباح المعلق على الجدار ولم يتم ، ولكن الهواجس والامكار كانت تتوالى وتوارد .

عاد ينظر الى الساعة فاذا هي الخامسة . ارتدى ثيابه وخرج متوجها الى اسرة صديقه ماجد يدعمه الفضول وحب الاستطلاع . وكانه ليس على علم بهذه المصيبة . اقترب من الباب وانصت لحظة ثم مد انايله المرتعشة وطرقت عدة طرقات تخللتها فترة صمت قصيرة خرج على اثرها ابو ماجد بوجهه الواضح الساطع . قال وهو يبتسم - محسن صباح الخير يا بني ، لقد كنت على وعدك تفضل . وبالات دهشة وجه محسن ، لان كل شيء بدا طبيعيا عكس ما كان يتوقع وما يريد .. فتدارك صمته قائلا :

- اني على عجل من امري ..
- ادخل .. ستشرب القهوة معي لقد صنعتها بيدي . ام ماجد نامت البارحة لاول مرة منذ عدة سنوات نوما هادئا ، ولم يرغب في ايقاظها فلذا قررت ان اصنع القهوة بنفسى .
جلس وعلامات الاستغراب ابادية على وجهه وقال في سره : لم تفلح يا محسن فما هي البرقية بالذات ترفضت ان تبغله النبا .. ان ما كنت تحسبه قد ضاع ادراج الرياح .



الام التكللى تشق الجيب وتقطع الشعر اياه ، انه سيفقد عقله ان رأى ذلك بأمر عينيه .

ونجاة طرات له فكرة لماذا لايسرع الى دائرة البرق ويرسل برقية تحمل نبا النعي ؟ ورنت كلبة برقية في اذنيه وتوالى رنينها كاجراس الكنيسة . وبشكل آلي سار نحو مبنى البرق . هناك وقف طويلا ونظر الى الساعة فالحالها تقارب الثانية عشرة ، ها هو الليل قد انتصف ولم يفعل اي شيء بعد .

دخل البنى متحفيا كاللص وكتب على الاستشارة « ماجد استشهد » . خرج وقد شعر كأن حملا لا طاقة له به قد انزاح عن كاهله ورماه نفسه هذا البنى .

مشى الهويئا وهو يتجه السى بيته ونظر الى قبة السماء خالسى القبر قد ملا النساء بنوره الساطع ، وانجلت الغيوم الا صغيرة ، فلا زالت تسير ببطء تحت الاشعة الفضية .

دخل غرفته واوى الى فراشه ؟ ولكن الكرى غاب عن عينيه وراح يسأل نفسه : ترى هل وصلت البرقية لقد مضى على ارسالها اكثر ممن

في حياته ثم كيف قتل الثاني والثالث . قالت له مازحا : لن ازوجك من غاطمة بنت الحارس ان لم تقتل عشرة من الصهيونيين .

فاجابني والمضحكة تبلا وجهه : من اجل (عيونك وعيون غاطمة) ساقفل اكثر مما طلبت .

قال محسن : لقد بر بوعده . تابع ابو محسن حديثه قائلا : انني افتخر به وارفع راسي في الحي عاليا انه ابن ابيه . ساستقبله استقبال الابطال ، استقبلنا يلىق ببطلنا .. وسرى ذلك يا محسن ان ابقاني الله حيا حتى يوم عودته .

كانت الكلمات تنهال على محسن كما ينهال الملاكم على خصمه بالضربات ، كانت كل واحدة منها تقول : عليك ان تخبره ابها المداهن .. عليك ابها اللعين ان تقول لهذا المعجز المسن الذي يعيش فسي الاحلام عن الحقيقة المرة .. فيسرد عليها محسن قائلا : دعوه في الاحلام يعيش فبعد الحلم يقظة ..

لسم يستطع ان يثبت امام وقع الكلمات فانتصب واقفا وقال :
- اسمح لي يا عبي بالانصراف فانا لم اذهب الى بيتي بعد .
- او يمتل هذه السرعة بابني ؟
- لدي بعض الاعمال اود ان اتضيها الليلة لانني ساسافر غدا .
- غدا ؟ اهذه كل اجازتك ؟

- نعم .
- حقا ان الوقت قصير ، ولكن قل لي هل ستمر بنا لنعطيك بعض الحاجيات لماجد ؟

- حسنا .. غدا ان شاء الله سابر بك واخذها .

- انن لنعزم السلامة .
خرج مضطرب الخلى ساهبا مفكرا كيف حدث كل ما حدث اكان عليه ان يقول له .. ولكن من اين له بالغة لليوج .. انه يكره ان يرى تلك الشيوخة تؤثر بها صدمات الحياة القاسية التي لا ترحم ويكره ان يرى

البرقية



نظر الى عيني ابي ماجد فرأى
فيهما براءة حلوة واخضرارا كاخضرار
العشب في الربيع .. غتمتم في سره ..
ان ابلغك يا ابا ماجد ، لن ابلغك
وليحدث ما يشاء ..
وقطع جبل تفكيره صوت ابا ماجد
وهو يدنح بالتهوه اليه .
— تفضل القهوة ، وما هي
الحاجيات بجانبك لقد هياتها لك
مجتمعة منذ اذان الفجر .
— حسنا .. ماذا تريدني ان اقول
له ؟ .

— قل له نحن بانتظاره ، وليرتد
هذه البزة الجديدة عند قدومه اليها ،
لقد دفعت ثمنها ثلاث مئة ليرة وانست
تعرف بان النقود تهون امام البطل ،
رغم قلتها .

— حسنا حسنا .. سأقو ...
وطرق الباب طرقات عديدة ...
فالتفتض ابو ماجد من مكانه وقال :

— خير ان شاء الله سأذهب لارى
من الطارق في هذا الصباح ..
انكش محسن في مقدمه واحسن ان
شبح ماجد يلاحقه ويلعنه لانه يصمت
عن الحقيقة .

عاد ابو ماجد وهو يحمل بيده وريقة
صغيرة دفع بها لمحسن قائلا :

— لقد اتى بها الان رجل ، انه
كالطائش ، لم يقل اي شيء بل لم
يفه بكلمة واحدة ، كل ما فعله هو انه
تناول ابهامي ، وبصمت على وصل
الاستلام واسرع في سيره دون ان يقول
لي ما هذا ؟ . خذ يا محسن وانظر ما
بها : فانا رجل امي لا اجيد القراءة او
الكتابة .

تضحك الدلتا ، تعري وجهها ،
تفتح في الصدر الضانق
ترفع النهدين متراسين ، لاتعباً ، تضحك
تطرح الدلتا عن الشعر زهور البرتقال
تضع الصبار تاجا
تحضن الجرح وساده
وعلى كل فراش
تلد الدلتا ويخضر البنون
(كم على الصدر عدت خيل وداست عربات
والى البئر كم اتسل الرعاة ؟
خلعوا قمصانها فانفلقت
تحضن النيل وترعى الشجرات »
* * *

يضحك العمال في وجه الحقول
ويغنون مواويل المرق
وهو يبنون في الدلتا القارييس ..
يدوسون فراغ اللافحات
يمصرون الطين زيتا
يفزلون القطن بيتا
يقف العمال في صدر الطرق
(أبدا تسمر القار لظي
والليالي غصة في الحلق
يرفع السادة سوط الالة
يبك العمال طين الخلق »
* * *

يضرر الاطفال في الدلتا سلال البرتقال
ويحبون السنابل
ينبشون الاحرف الاولى اساطير على كل فراع
وجراها يضررون الفضة الاخرى على وجه الجنوع
يتلاقون اصيلا
ويغنون التخيلا
ويغنون فيلثات التهر
(داست الريح قواوير التي
واقام اليمين حينا في الضلوع
فاستدار الجذع ، شال الفصنا
برعما يرقب اعياد الطلوع »

محمد محمد صالح
القاهرة



ألف ليلة وليلة

في الأدب الأوروبي

عبد الجبار
محمد
السامرائي

لانتشرت خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين بعض ملامح حكايات الليالي ، ولا تزال أناشيد ملحمة ديجينيس اكريتاس Digenis Akritas التي تعود الى القرن العاشر الميلادي منتشرة حتى اليوم عند الشعب اليوناني ، وقد حاول بعض علماء البيزنطيات المغارنة بينها وبين حكايات الليالي . كما نجد ان (ريتشارد واغنر) قد استقى موضوع اوبراته الاربع من ملحمة النيونجلويد Nibelungleid التي ظهرت في جنوبي ألمانيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، ويلاحظ ان بعض خوارقها ومواقفها وشخصياتها شبيهة تماما بخوارق ومواقف وشخصيات بعض حكايات ألف ليلة وليلة .

ومن الاشعار القصصية انشودة ملحمة بطلها (متز) Hervis de Metz انشئت في نهاية القرن الثاني عشر ، وجد ان ثم تشابها بينها وبين حكاية نور الدين في ألف ليلة وليلة .

مثلا شاعت وانتشرت حكايات ألف ليلة وليلة في الشرق ، فقد شاعت هذه الحكايات وانتشرت في البيئات الادبية في أوروبا وتركت بصماتها هناك . لقد انتقلت حكايات ألف ليلة وليلة الى أوروبا عن طريق رئيسيين هما :

- ١- عن طريق التناقل الشفاهي
- ٢- عن طريق التناقل الكتابي ، بعد الترجمة .

فالانتقال الشفاهي كان نتيجة لحركة التبادل التجاري بواسطة البحر الابيض المتوسط ، بين شواطئه الشمالية في أوروبا ، وشواطئه الجنوبية في العالم العربي والاسلامي . كما كان للحروب الصليبية اثرها ايضا اذ كان الاسرى بين الاطراف المتنازعة ينقلون حكايات الليالي شفاهاً . ومن الطبيعي ان ينعكس هذا التأثير على الادب الاوروبي ، ولاسيما في مجالات الشعر والقصة والمسرح .

ففي الشعر ، تبين الاغاني الشعبية البيزنطية التي

هذا في مجال الشعر ، اما في مجال القصة ، فكتبين قصة «الدوق ارنست» التي انشئت في القرن الحادي عشر بان مصدرها الف ليلة وليلة ، وان كل ما جرى من مغامرات للدوق وهو في رحلة في الخارج مستمدة من حكاية «امير خوارزم» ، وان بين هذه القصة وبين رحلات السندباد علاقة وثيقة .

من القصص التي تفصل حياة الفروسية ، واكثرها تسربا الى اوروبا (سيرة الفارس سيفار) Historia del Cavaleiro Cifar التي ظهرت خلال الاعوام ١٢٩٩ و ١٣٣٥ للميلاد ، هذه القصة وثيقة الصلة بقصة عمر النعمان في الف ليلة وليلة .

ومن المرجح ان « بوكاشيو » قد استمد قصصه المعروفة بالديكاميرون . وهي من Decamerone من الف ليلة وليلة ، وتعرف هذه المجموعة — بالف ليلة وليلة الإيطالية — والشبه بين الليالي والديكاميرون يقوم على الاطار اي على اعتماد شخصية الراوي للانتقال من حكاية الى اخرى .

وفي ايطاليا ايضا نجد مجموعة قصصية اخرى بعنوان «الليالي الممتعة» وهي من تصنيف (استيريوالا) Strapurola وفيها مشابهة عديدة مع قصص الليالي العربية ، كذلك الف (بازيل) مجموعة بعنوان «الايام الخمسة» Pentamerone روي فيها قصصا كانت تتناقل شفاهيا في اقاليم ايطاليا فيها مشابهة من الف ليلة وليلة .

اما عن اثر الليالي في القصة خلال القرن الخامس عشر ، فنجد له صدى في القصة الانكليزية ، بعد تأثرها بالديكاميرون الإيطالية ، ومن تلك القصص (حكاية الفارس الغلام) Squires Tale وقصص كاتنبري لثسوس . ويذكر ان ثسوس عمل جنديا ورحالة وسفيرا لبلاده في البلاد الاجنبية وتأثر برجال النهضة في ايطاليا .

وفي مجال المسرح ، تجلى التأثير الشفاهي لالف ليلة وليلة في المسرح الاسباني الكلاسيكي عند « كالدرون دي لابركا » Calderon de la Barca وفي المسرح الانكليزي عند وليم شكسبير W. Shakespear

ففي المسرح الاسباني عرفت هناك مسرحيات بعنوان « انها الحياة حلم » التي لها علاقة بحكاية « صخرة النائم » في الف ليلة وليلة ، وهناك صلة ايضا بين موضوع هذه الحكاية نفسها وبين مسرحية « ترويض الشرسة » Taming of the Shrew لوليم شكسبير ، ولا بد ان شكسبير قد اخذها عن مسرحية « انها الحياة حلم » الاسبانية .

وهناك مجال واسع لمن يريد ان يعقد مقارنة بمستفيضة بين روايات شكسبير واطالها التي توحى بانها مستمدة

من الليالي العربية ، كيف لا وان جوانب الحضارة العربية كانت جزءا من ثقافة شكسبير ، وهي تتجلى في كثير من مسرحياته .

تلك هي ابرز الملامح التي غذت الادب الاوروبي من ينبوع حكايات الليالي العربية عن طريق المرحلة الشفاهية ولكن اثر الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي لم ينحصر عند هذا الحد ، فقد اغنت الحكايات هذا الادب ايضا بعد ترجمتها الى اللغات الاوروبية ، وتحديدًا بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية من قبل (انطون جالان) .

واثارت الليالي العربية بعد ان نقلت الى لغات اوروبا شغفا بالغا في نفوس الاوروبيين ، حيث بداوا يتطلعون الى معرفة هذه الشعوب التي انتجت هذا الاثر .

ولا نبالغ اذا قلنا بان الف ليلة وليلة كانت القوة الدافعة لحركة الاستشراق وانتشارها ، فقد تفاق الادباء قبل ظهور هذا الاثر قليلا ومن بعده كثيرا الى زيارة هذه البلاد الشرقية ثم دونوا رحلاتهم كتبًا انطشرت ، فاذا المستشرقون بعد ان كانوا يكتبون بما يصل الى ايديهم من كتب عربية او كتب غربية عن الرحلات وبعض المسائل العلمية الشرقية ، يحاولون هم انفسهم ان يزوروا هذه البلاد العربية خاصة ، والشرقية عامة ، ويتعرفوا على لغاتها وعاداتها .

اما الاثر الاقوى لكتاب الليالي فقد تثل في الأدب الخالص ، حيث كان اهتمام الغرب اول الامر اعتبارا تجاريا ، ولما اقترب الشرق من الغرب بفضل السياسة واحس الغرب هذا السلطان الشرقي العظيم اتصل قوم ارتى من التجار بمدينة الشرق ومعيشته اتصالا مباشرا ، واثار كل هذا في الادب الاوروبي عامة وفي الادب الفرنسي على الاخص ، نظرا لمركز فرنسا اذ ذاك ، وكانت ترجمة جالان لالف ليلة وليلة ، اثرا من اثار هذا الاتصال الفرنسي ، التي وجهت الانظار الى الشرق ، وظلت هذه الترجمة طوال القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر تمثل للاوروبيين المعنى المفهوم من الف ليلة وليلة . وقامت شعوب اوروبا باجمعها لترجم هذا الاثر ، فلتنصير الى ايدى تفلغلث الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي ؟

ففي مجال الشعر ، نجد اثر الليالي بارزا في «قصائد الامثال» الفرنسية Le Fables عند ملورين في القرن الثامن عشر ، وعند الشاعر القصصي الالمانى كرسنوف ماري فيلند weiland وعند «هيجو» وخاصة في (شرقيته) وفي الديوان الشرقي، للمؤلف الغربي لغوته وكوبلاي خان لكولريج و « شامسو » الشاعر القصصي ، الذي اخذ قصة

مثلا بارزا لاثر الف ليلة وليلة في مسرحية شهرزاد لجول سوبريغال الفرنسي . كما نجد الاثر الآخر في مسرحية (حذاء ابي القاسم الطنبوري) للمرحسي السويدي (اوغست ستراندبرغ) .

لقد كان اثر الف ليلة وليلة في الادب الاوروبي متمسعا متفرعا ، فقد نثر بالناحية الخيالية ، والشعرية الغامضة السحرية التي تكشف عن الشرق . ولكن اطار الف ليلة وليلة كان له ابرز الاثر . فشخصية شهرزاد اصبحت شخصية عالمية ، وكل ما احيط بها في هذا الاطار من حوادث ، اصبح ينبوعا ثرا لتلجج الادب الغزير . وقد انتقلت شخصية شهرزاد الى الادب الاوربية كصورة لمن يهتدي الى الحقيقة عن طريق القلب والعاطفة . وكانت القصة التي حكته شهرزاد — عند الاوروبيين — ترمز الى الرومانتيكية في نصرة القلب والعاطفة على التفكير المجرد ، والهرب من واقع الحياة في عالم سحري .

لقد اقام كتاب الليالي اوروبا واقعدها وغير مجرى حياتها ، وكان سببا في اندحار الكلاسيكية في بلد عريق بالكلاسيكية كفرنسا ، وظهور الرومانتيكية . وذهب الى اكثر من هذا فاقول ان كتاب الليالي كان عاملا اخر من عوامل الثورة الفرنسية ، فقد علم كتاب الثورة الفرنسية من امثال فولتير وروسو ومونتسكيو اسلوبا جديدا في التهجيم على اوضاعهم السياسية والاجتماعية .

ان قصص الليالي ، استطاعت ان تحظى باعجاب اكبر ادياب ومفكري الغرب ، اذ انتقلت بالانسان نحو عالم بهيج ، وحقت له حلمه القديم في الحرية المطلقة . اما شخصية شهرزاد ، فانها رمز انتصار المرأة ، التي ادت بحذقها ، ومكرها ، وحكمة روايتها ، الى استعادة الملك لارق مشاعره ، وتحفظ الشخصيات النسائية الاخرى ، على كثرتها وتعددتها ، وكثيرا ما تنتصر ، تحتفظ بعقيدة سيكولوجية ، تضاعف من غموضها وسحرها ، بغير ان تقلص من نتيجتها للسمة السيئة التي يضيفها عليها المؤلفون .

واخيرا ، وبدون ادعاء العلم ، فان قصص الف ليلة وليلة ، تضع للانسان فلسفة للوجود ، كهيبة بجعله ينبر لسهولتها وتفاؤلها . وهي قصص ذات خيال رائع ، تعكس ثراء وفخامة الشرق ، وقصة مغامرات عجيبة غريبة ، وتعتبر ايضا عنصر اجتذاب الانسان ودعوته الى الترحال .

عبد الجبار محمود السامرائي

عبد الله والدرويش من الف ليلة وليلة نفاها شعرا . ويندر ان نجد شاعرا او اديبا انكليزيا خلال المائسة والخمسين سنة الاخيرة لم يغترف من ينبوع الف ليلة وليلة ، كما ان الشاعر الإيطالي لودفيك اريوستوم ، قد نظم اشعاره القصصية وكأنه نقلها نسا وروحا عن الف ليلة وليلة ، ما عدا تغيير ملطف .

وفي مجال القصة ، تركت الف ليلة وليلة بصماتها ايضا ، ونجد ابرز هذه البصمات في المجاميع القصصية التي نسجت على منوال حكايات الف ليلة وليلة كحكايات الجنى للسير شارل مور وعقد اللؤلؤ الاسيوي لهارتمان وحب انس الوجود للرحالة كلودايتين سفاري ، وملحقات الف ليلة وليلة لبرتن وتكيلة الف ليلة وليلة لجازوت وقصص شرقية لكايولوس . ثم القصص الشعبي الالمانى الذي انتشر انتشارا واسعا والموسوم بـ (حكايات الاطفال والبيت) ، للاخوين يعقوب وفلهلم جرم . وقد اعترف المؤلفان بانهما استمدا من الف ليلة وليلة بعض حكاياتها .

وجاء القرن التاسع عشر بعوامل جديدة ، فالماذاهب الفنية الجديدة التي ظهرت فيه وخاصة الرومانتيكية والرمزية والبرناسية قد افسحت المجال لظهور نوع من القصص الذي يكيف الحكاية الشعبية الشرقية بصورة مباشرة اعجابا بها حينما ، وحينما سخرية من الادب الذي افترط في استحداثها . وهكذا ظهرت قصة (الكباش) Le belier وقصة «زهور الشوك» Fleurs d'Épines لمهلون Hamilton

اما في القصة الاوربية الحديثة ، فنجد اثرا مباشرا لليالي فيها خلال النصف الاول من هذا القرن وخاصة في فرنسا ورومانيا . ففي فرنسا كانت القصتان اللتان كتبهما هنري دي رينييه Henri de Regnier عن ترميل شهرزاد وضمتها مجموعته «رحلة الحب» هما اقرب القصص الفرنسي الشرقي الحديث الى الف ليلة وليلة .

وابرز ما يلاحظ عند رينيه هو ذلك التكيف الزماني والمكاني في الاحداث حيث يمتزج عصر الاسطورة بالعصر الحاضر ومواطن الف ليلة وليلة بمواطن لا عهد له بها .

وفي رومانيا ، نجد قصة لـ «هيلين فكاريو» مصاغة بسياق قصصي حديث ، جاءت الاحداث فيه متناسقة التسلسل ، وكانت الشخصيات مدروسة بعناية فاذا هي تتحرك بحبوية .

اما في مجال المسرح ، فنكاد صلتها بالف ليلة وليلة تكون معدومة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ما خلا مسرحية لالسينج Lessing ومسرحية لفيرن Verne ولكننا نجد في المسرح المعاصر

للعشب طعم آخر



ولحظة نمرغه .. نجهله ؟

• •

(المربات تراوغنا
والشوارع لانفهي
والمسافة تتداح في القدمين)
هذي المدينة

تبخر اوجاعها في عظامي
تنام على حافة الضوء في مقلتي
ترصف احلامها في دماي
— هذي الشوارع — لو تدرين —
تعب متحف

— لا تبادلني الحب بالدمع
لا تكن مساويا
ان نورا من العشب تحت ثيابي يفيض
ومن يصنع الوهم
يصنع — يا سيدي — الحلم
انني امرأة خيرة الصبايات
تبحث عن لذة الشجر الميت ..
خلف هذي البيوت
التي لبست عريها ..

• •

— معطرة ... سيدتي
انني لا اخن غير شفتاي
ولا احنسي غي دمي الفجع

اغلقي الباب

اغلقي الباب

.....

مالذي قد صنعت بنفسي
ومازال من سمعها المتهدل
فوق جبين المساء المسافر غصن ؟

• •

المدينة تفتح ابوابها
الصباح المراهق يغسل عين الشوارع
يبلل ندى التوافد
سيدتي

اقتربنا من التبع ..
هل تسمعين احتراق الدموع
يلامس غيم القصائد
هل تسمعين ؟؟

ها هو نهر التخاصر في الساعدين
يفتح زهر الحنايا
ينهش ايماننا الممتدة
فيا رعدة القلق المرحية
ما الذي نحتويه ولا يحتويها

.....

.....

• •

ما الذي ..
حين نجهله .. نمرغه

شعر

جمال

القصاص

والكره ان انتهى في قرارة كوب
ويمنصني في آخر الليل بار
يحرقني في غمائم لحن مرقع
معذرة ... سيدتي
سيدتي .. معذرة
معذرة ..
معذرة ..

من منشورات
دار ذات السلاسل

امرأة في لفاء

تأليف
عيسى العثمان

مصادر البكري ومنهجه الجغرافي

تأليف
عبدالله يوسف الغنيم

على العشب بيت من الماء
يبرح في هسهسات الطيور الفريدة
للعشب طعم الانوثة
وذاكرة العشب لا تبتهل للدماء
انني الان اكتشف الجنة القامضة
اقتربنا من النبع
بعدنا عن النبع
اقتربنا .. بعدنا
بعدنا .. اقتربنا ..
اه سيدتي
لو تفكرين

العصافير ترحل
وكانت ملابسنا فوق جذع النهار
منمقة بالاماني — الطفولة
كورت نفسي على ركبتيها
تألق في مقلتيها الاصيل
قالت :

بصوت طرى ، جميل
كثيرون مروا ببابي
كثيرون مروا
كثيرون مروا
لكنك الفارس ، القدر ، المستحيل
اه .. سيدتي
لو تفكرين .

المدينة ترخي استعارها
غيوم المساء تبرز ثوب المداخل
افتحي الباب
افتحي الباب

اما زال من شعرها المتهدل
فوق جبين المسافر المسافر غصن
اما زال فوق جبين المسافر ؟

وديع فلسطيني

بقتكم: حسني سيدليب
http://Archivebeta.Sakhril.com

ما داموا على الارائك
والدسوت » . (١)

فيكشف عن طبيعته المرفهة ،
ومثاليته التي يمتز بها ويفخر . ان
الدافع وراء ممارسته الكتابة الادبية
دافع نبيل متاصل في ذاته ، ولا يحيد
عنه . وقد تشرب اصالة الادب ،
وبراءة اصحابه في الاربعينات . وحين
تغير الحال اثر الانزواء . وفي هذه
الفترة ، تعرف على صفوة الكتاب
والادباء . لكنه لا يتزلف لدى احد
عاكفاً على كتاباته ، ثانياً عن مخالطة
اصدقائه حين يصلون الى المناصب
القيادية . ولعل هذا هوس بئسنيانه ،
فلم يدع الى مؤتمر ادبي او مهرجان
ثقافي ، ولو مجرد مستمع ! . وقد

ما يميز الاديب المبدع ، وهما خصيصتا
الاصالة والبراءة . وفي الستينات ،
اثر العزلة والانطواء ، حين رأى
اسماء تلعب بحكم وظيفتها . لكنه لم
يكف عن الكتابة ، ونشر مقالاته في
« الاديب » .

ولعل سبب عزله يرجع الى
طبيعته المرفهة التي تآبى مخالطة
ذوي المناصب الكبيرة ، حتى لو كانوا
قبل ذلك من اصدقائه . وفي هذا
يقول :

« وكان من دأبي وديدني — وما
زلت على هذا مقبياً الى يوم الناس
هذا — ان ادير ظهري لكل ذي منصب ،
فلا اتعامل حتى مع اصدقائي منهم

وديع فلسطيني مفكر وأديب
مطبوع . يجمع بين اصالة الاديب ،
ودقة الباحث ، وطهارة القلم ،
وصراحة اللسان . يتودد اليك في
مقالته بشيق الحديث ، وعذوب
الاسلوب ، ولا ينساق وراء شائع
القول ، او رخيص الكلام . فاذا ما
تطرق الى فكرة ما ، يحاورها
ويداورها ، ويقلبها على شتى
الوجوه ، وهو في هذا كله ، اديب
صافي النفس ، عفيف القول .

كتب في اربعينات هذا القرن
واوائل الخمسينات في « المقطم » و
« المقنطف » ، وقد انبرى في تحرير
« المقطم » خلفاً للاستاذ خليل ثابت
باشا . وقد فطن وديع الى اهم

سبب له هذا النكران والوجود المامسا ، لكنه لم يخلق على احد ، ولم يضق ذرعا ، وانما اثر التحلي بمساء النفس والتماس العذر . ويعلق على هذا النكران بقوله :

« وهذا امر الفقه ولم اضق به ابدا ، لانني في كل عمري سلكت طريق الادب لا من باب الوظائف ودرجات البيروقراط ، بل من باب الاجتهاد الشخصي والاستقلال الفكري » . (٢) وهو قول صادر من نفس صافية . ونحن نتحدث عن نفسه ، يمزج الجذ بالعبادة ، ويكثال لهذا ما قاله حول اسمه :

« اراني مضطرا كلما تحدثت عن فلسطين ان اذكر الناس بانني لست من فلسطين ، وان الملاحظات الجغرافية لاسمى الكابل « وديع فلسطين حبشي » لا تنسني السي فلسطين ولا الى الحبشة ، ولا تخرجني عن واقع صعيدني ومصريتي ، مع عروبة الانتفا » . والايام .

وكم انتقل كاهلي هذا الاسم المحير ، الذي اوقفني عشرات من المرات امام اهل الاستمطار والتخري حتى صرت — على الرغم مني — اثبرا من فلسطين في كل مناسبة وبلا مناسبة ، على الرغم من الحفاوة الشخصية التي كنت القاها من اقطاب فلسطين كالمفهور له سباحة الحاج امين الحسيني ، والمرحوم احمد حلمي باشا والمجاهد العربي الاكبر محمد علي الطاهر (رطب الله مفاهم جميعا) واحمد الشقيري وعادل زعيتر وقنري حافظ طوقان وخليل السكاكيني والدكتور اسحق موسى الحسيني ومن اليهم ، وهي حفاوة سببها الاول حلمي اسم فلسطين ببعض مصادفة » . (٣)

بدأ اتصاله بالحقبة الادبية عام ١٩٤٢ . وفي سن التاسعة مشرة عام يجد مشقة في نشر كتاباته في كبريات المجلات الثقافية ، مثل (المقتطف) و (رسالة) الزيات ، و (ثقافة) احد امين وغيرها من المجلات . كما انه

واصل نشر كتاباته في (ادب) البير ادب منذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٧٥ ، حيث احتجبت المجلة بعد اشتعال الحرب الاهلية في لبنان .

وفي اعداد (الادب) الاخيرة ، نشر وديع فلسطين احاديثه المستطردة عن مصطفى الشهابي وميخائيل نعيمة وابى شادي ومي العقاد وزكي مبارك . وقد تميزت هذه الاحاديث بأسلوب كاتبها الاخاذ ، فهو يشكك الى حديثه ، ونحن نفرغ من مطالعته ، تأسف لانتهاه الحديث . وقد اتسم بالجدة في الحديث عن هذه الاسماء البارزة ، واهتم بابرار جوانب مختلفة من حياة اصحابها ، واشترك الكاتب نفسه كواسطة بين الشخصية المتحدث عنها والقاري . . . فيعرض علينا اتصاله بهذه الاسماء سواء اكان اتصاله مباشرا او غير مباشر ، فاصبحت بذلك احاديثه احاديث مودة ولفه ، تحبب الى نفوسنا الوديع الكاتب الصديق . وقد اجاب على سؤال الاستاذ حسين علي محمد : « ماذا تقصد بالاحاديث المستطردة التي تنشرها في (الادب) عن اعلام المفكرين الذين عرفتهم ؟ » بقوله :

« ليس بخاف عليك ان التكتلات — او « الشلل » التي نهيت لها اسباب النشوء والترعرع في حياتنا ، قد نجحت في اجمال ذكر كثيرين من الادياء الذين لا ينتمون اليها ، وفي انكار كل فضل لهم في الحياة الادبية . وهذه الحقيقة نهيتني الى ضرورة « انبات وجودي » ، او بتعبير ارباب المعاشات « تقديم شهادة وجود على قيد الحياة » . فاستصوبت ان اسوق احاديث مستطردة عن كبار الادياء متوخيا — في غير ما تفاخر او ادعاء — ان اسرد طرفا مما كان لي من صلات ومودات وثيقة ، مؤكدا دائما ما تخلق به هؤلاء الكبار من اريحة طوعت لهم ان يفيضوا بعلمهم وادبهم وتجاربهم على من هم بمقام التلاميذ مثلي » (٤) ونأمل من كاتبنا المهام ان يستكمل

احاديثه المستطردة الشيقة ، وقد كتب اخيرا حديثا اخر تحت عنوان (حديث مستطرد عن الثقافة والتعليم) . (٥) وما اخرى تلك الاحاديث بالجمع في كتاب مستقل ، يثرى الكلية العربية ويبيد لها حلاوتها .

وسيكون الكتاب تاريخا لفترة الاربعمينات والخمسينات وما بعدها من كاتب شاهد على عصره وذاكرته تسعفه الى جانب مراجعته في التاريخ الادبي الدقيق المنزه .

فالوديع الامين على الكلية النقية ، خير من يرجع اليه فيما يعرف عن مشاهير الادياء في هذه الفترة ، لما يتميز به قلم الوديع من اخلاص وحب للادب ، دون خلطه بأمر سياسية او ايديولوجيات مذهبية .

وفي عدد سبتمبر ١٩٦٩ من مجلة (الادب) ، نشر مقال « الادب والاذنية » . وهو مقال طريف جمع فيه نادر واحاديث واثمعا ترتعلق بالاذنية . وكان موضوع « الاذنية » من انظرافتيه كان بحيث اخذ كاتبنا قبله على شتى الوجوه ، ويجمع المفارقات والنوادر . وقد اغرى هذا المقال كوكبة من الادياء والكتاب ، التي تسطير ما في جمعيتهم من ادب النعل . وقد ظلت (الادب) تنشر هذه المقالات حتى عام ١٩٧٥ ، حيث احتجبت المجلة . واعتقد انه لم يزل في جبة وديع فلسطين والادياء المزيدي من المقالات ، وكلها تشدك للقراءة ، دون ان نمل الموضوع المطروق . وكان احق تلك المقالات ان تدرج بين دفقي كتاب مستقل ، فهي مقالات رصينة جادة ، وان كان « الحذاء » هو صلب الموضوع المطروق . : وقد بدأ كاتبنا مقاله التشير حول الاذنية بقوله :

« اعلى صديقنا نزار قباني منائر عاصمة الرشيد في مهرجان الشعر الاخير . والتي قصيدة بركانية من

تصائده التي بدأ سلسلتها المزلزلة
« بالهواش » ، قال فيها :

وإذا أصبح الفكر بوقاً يستوى
الفكر عندها والحداء !

وإذا كان نزار قد التمس مناسبة
تجمع « الفكر » و « الحداء » في هذه
المفارقة الصارخة ، ففي الأدب
مرويات كثيرة عن الإحذية والنعال ،
يجرى بعضها مجرى الحكمة ، ويجرى
بعضها الآخر مجرى الفكاهة ،
ويجري بعضها على سنن القصص ،
وكلها طرائف تناول في هذه الكلمة
أن تحشد طائفة منها ، وبعضها
مستمد من معين الذاكرة ، وبعضها
منقول عن مراجعه ، والبعض الآخر
تبرع به الأصدقاء جورج صيدح
وروكس من زائد العزيزي والبسوي
الملم يعقوب السموات عنهما دروا
أثني منشغل بالأحذية القديمة
والجديدة على حد سواء ! . (٦)

واستطرد كاتبنا في حديثه الشيق ،
وكانت عبارته المعبرة :

« لوقع الأحذية صدًى في الأدب .
وهل الأدب إلا صورة للحياة بكل ما
فيها ، والأحذية من جعلتها ؟ » . (٧)
ويبدو أن حديث النعال قد استهوى
كاتبنا ، ووجد في مادته الأدبية نبعا
لا يغيض ، فاستطرد ينشر المثل تلو
الأخر لما يجد في حديث النعال ، وهو
حديث ذو شجون كما يقول ! . وقد
نشر في (الأديب) سبعة وعشرين مقالا
بعد مقاله الأول حول النعال والأدب .
ويكفي أن نستعرض عناوين تلك
المقالات ، والتفكر فيها توحى اليأس
جهد الباحث والأديب المطبوع . وقد
نشرت على مدى خمس سنوات كاملة ،
فيها بين عامي ٦٩ و ١٩٧٥ . واحسب
أن جمعة الوديع ما زالت مملأى
بأحاديث أخرى :

ذبل « للآدب والأحذية » — الأدب
والأحذية — أحاديث الأحذية والنعال
في الأدب أدب الأحذية ومستطرفات
جرماتوس — حداثيات أدبية جديدة —

أدب النعال من جديد — النعال
والشعر — أحذية لا تبلى في دواوين
الشعراء — النعال والمنتمطون في
الأدب — النعال في ديوان العرب —
نعال جديدة في حانوت الأدب — آثار
النعال في الأدب العربي — بقية
لحديث النعال — وقع النعال في شعر
الرجال — أحذية في الشعر والنثر —
النعال شعرا ونثرا — حديث
الأحذية — نعال الإبداع وكعبوس
الحرائر — من نعال طه حسين إلى
خفي حنين — أضافات جديدة في أدب
النعال — حديث النعال لأولاد
الحلال — النعال في أدب القدامى
والمحدثين — ذبكية ونعال وبط ! —
قبل أن تحفى أقدام المترجمين — بكاء
الشعراء على « باتا » — جولسة
جديدة في دنيا النعال — حديث النعال
ذو شجون .

ويبدو أن استطراده المطول في أدب
النعال أو نعال الأدب ، يعكس ما
يشعر به من ألم لتكرار بني قومه له ،
بعد أن كان صولوا جوالاً في ساحة
الأدب . كما زاد ألمه حين توجه إلى

بلد أعزبي (٨) ، مع عيانه من مراقبة ثم
ترحيله فجأة في أربع وعشرين ساعة
ونهب أمتعته وكتبه . لكنه لم يتهم
على أحد ، وإنما دفعه إليه المضحى إلى
أبناز العزلة ، وأن كان قلبه لا يزال
يدبح المقالات ، ولعل اختياره لحديث
« النعال » يرجع إلى ما وجدته من
مادة أدبية ساخرة يطل على عصره
الذي تغير فيه حال الأدب
وانحسرت عنه تلك الخصيصة
اللذان كانتا تطلزان ثوبه واقتصد بهما:
الاصالة والبراءة . لم يصادف تلك
الاصالة التي تميز بها عصره ، أو
الجيل الذي سبق هذا الجيل .

وانها لخسارة فادحة يبني بها
الأدب ، حين يتوقف عطاء قلم الأديب
المطبوع وديع فلسطين ، واضربه من
الأبداء الإساءة . وأنه لاجدى بالوديع
الأديب استخدام سلاح « الحداء » في
طرد ادعياء الأدب والدخلاء . لكنه
سلاح خايد ، فلا يملك ادبيتنا إلا

السخرية والتفكه في القول ، بأسلوب
متأدب متميز ، قصار حديثه لونها
جديدا من ألوان الأدب .

ويسوقنا حديث النعال إلى
مناشدة إحدى دور النشر بجمع هذه
المقالات ، وتشجيع مؤلفها على طبعها
في كتاب مستقل ، بعد أن فترت همته
في نشر آثاره ، وسيجنى صاحب
الدار بلا شك ربحا وصيتا ، فالمادة
طريفة تغري بالقراءة من يبحث عن
التسلية والمتعة ، وهي في ذات
الوقت مادة أدبية جادة تعد إضافة
أدبية جديدة في المكتبة العربية .
ويتطل تكرار بني قومه له ، في
قوله :

« ألم يسوق لي في ذلك العهد ، ولا
يسبقني لي إلى هذا اليوم ، أن تلقيت —
وؤ على سبيل الخطأ — دعوة
لشهود أي مؤتمر أو حفل أدبي أو أي
مناسبة لها صلة بالفكر والثقافة أو
أي مهرجان مهما يكن موضوعه » . (٨)
ولعل إثارة العزلة ، وحساسيته
المفرطة ، كانتا من العوامل التي
شجعت على تسياته . ولندع كاتبنا
يتحدث عن طبيعته المرحفة ، حين
تحدث عن علاقته بميخائيل نعيمة :
« ومعرفتي بميخائيل نعيمة معرفة
قاريء لا مخالط أو مشاهد . فلم
تتح لي الظروف رؤيته إلا مرة واحدة ،
ولكنني تعييت مخاطبته أنسيافا مع
طبيعتي القديمة الجديدة التي تتعب
لقاء العظماء ، ولا تقاهم إلا لقياسا
الطالب لاسانذته » . (٩)

نشر وديع فلسطين حوالي عشرة
كتب تحمل اسمه ، عدا الكتب التي
انجزها ولم يندرج اسمه عليها .
والكتاب الذي أطل منه على قراء
الآدب ، هو كتابه النافذ : قضايا
الفكر في الأدب المعاصر ، الذي
صدر عام ١٩٥٩ ويقع في ١٣٠ صفحة
من القطع الصغير . وقد كتب الأستاذ
عجاج نويهيض حول هذا الكتاب
بإضافة . (١٠) .

وقد قول بالصمت فور صدوره

في مصر ، لكنه لقي حفاوة بالغة في صحف لبنان وسوريا واليمن . كما كتب المستشرق الإيطالي مارتينو مورينو مقالا عنه في مجلة « أورينتو » . (١١)

وترجم مسرحية « الاب » لأوجست سترندبرج . كما ترجم كتابا أخرى ، وان كانت بعيدة عن مجال الأدب ، الى غير من العلوم والمعارف . ومن كتبه المترجمة :

- ١ - انشاء وإدارة محل لاصلاح السيارات .
- ٢ - تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط .
- ٣ - استقاء الأنباء من .
- ٤ - العلاقات العامة من .
- ٥ - أوليفر ونلد هولمز .
- ٦ - على درب الحرية - سيرة حياة مارتن لوثر كنج .
- ٧ - فلسطين في ضوء الحق والعدل .

وتكشف هذه الكتب المترجمة عن وجه آخر لوديع فلسطين ، هو المترجم البارع الدقيق ، وان سبق ذلك ولحقه براعته الأدبية كيفكر وبياحت .

وقد سبقني في الكتابة عن وديع فلسطين ، الأستاذ أنور الجندي في عدد يناير ١٩٦١ من مجلة « الأدب » . ثم الأستاذ أبو طالب زيان في عدد نوفمبر ١٩٦١ من مجلة « الأدب » . كما كتب الدكتور محسن جهال الدين عنه مقالة (وديع فلسطين بين العطاء والحرمان) في عدد مجلة « الأدب » المزدوج نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥ . ويمكن الرجوع الى المقالات الثلاثة لن يرد الاستزادة . وايضا نشر الأستاذ حسين علي محمد حوارا أجراه معه تحت عنوان « مع شقيق الأدباء : وديع فلسطين » في عدد أبريل ١٩٧٦ من مجلة « صوت الشرق » .

لقد كان هدفي من الكتابة عن وديع فلسطين ، هو اهداء بطاقة تحية الى اديب يستشعر الغربة وهو في وطنه .

ولعل هذه البطاقة ترد عنه بعض غريبته . ولو لفترة . وان كان المأمول ان يهجر عزلته ، ويواصل رحلته

الأدب ، برغم ما فيها من منغصات وممونات .

حسني سيد لييب

- (٦) مجلة « الأدب » - سبتمبر ١٩٦٦ :
الأدب والأخذية - ص ٢٢ .
- (٧) مجلة « الأدب » - ديسمبر ١٩٦٦ :
نيل « للأدب والأخذية » - ص ٥٣ .
- (٨) مجلة « الأدب » - أبريل ١٩٧٥ :
حديث مستطرد عن ميخائيل نعيمة - ص ١٨ .
- (٩) المصدر السابق - ص ١٧ .
- (١٠) مجلة « الأدب » - مارس ١٩٧٤ :
العربية العالية وقضية الكتاب العربي - ص ٥ - ٣ .
- (١١) اخبرني بذلك الأستاذ وديع فلسطين في إحدى رسائله .

- (١) مجلة « الأدب » - يوليو ١٩٧٥ :
حديث مستطرد عن مصطفى الشهابي - ص ٧ .
- (٢) مجلة « الأدب » - أبريل ١٩٧٥ :
حديث مستطرد عن ميخائيل نعيمة - ص ١٨ .
- (٣) مجلة « الأدب » - يناير ١٩٧٥ :
حديث مستطرد عن فلسطين - ص ٢ .
- (٤) مجلة « صوت الشرق » - أبريل ١٩٧٦ :
مع شقيق الأدباء وديع فلسطين - ص ١٦ ، ١٧ .
- (٥) مجلة « الوعي العربي » - يونيو ١٩٧٦ :
حديث مستطرد عن الثقافة والتعليم - ص ٦٦ - ٦٩ .

القطار يمر .. الأغنيات تجرح

وهذا القطار السريع يمر بطينا ، ويقطع ليل المحطات والمرتدين انتظاراتهم والمنازل ويمضي الأغاني المراقية الان تأخذ شكل السكاكين كما تنشق قميصي وتبضع صدري .

لماذا تكونين عني بعيدة ؟

لماذا أكون بدونك نهرًا يعاني انحسار المياه ، زيارة طير غريب يمر ويترك غندي ، غبار السنين ؟

علي ضفتي توطن عشب القصيدة

وان زمان وصولي اليها يحين

لامسح صدري بورد بلادي

اقبل وجهك ذاك البهي الحزين

وأحلم اني اقبل امي

قصيدة صغيرة الحب فوز

محمد
صلاح
عبد الرضا

الفلسفة الإسلامية

وثقاء مع الدكتور جعفر آل ياسين

اعداد

عبد
البساط

المصور وانتهاء بالمأمون . طبيعتهم الفريدة ساهمت الى حد كبير في تهيئة هذا الجهد ، وقد يستغرب السمر عندما أقول ان من اهم تلك الاتجاهات الفريدة ان المصور مثلاً مرض في معدته وكانت معدته سبباً رئيسياً في ترجمة كتب الطب ، كي تشفى معدة المصور ، اما بالنسبة للمأمون مثلاً فان ثقافته بالمتزلة والايان بمقيدة الاعتزال ايماناً بمنقطع النظر ادى به الى البحث عن وسائل جديدة لهذا الفكر العقلاني كي ينيه ، فلم يجد المأمون سوى كتب اليونانيين وترجمتها لتساعد على نمو هذه النزعة العقلية عند المسلمين ، هذا هو العامل الداخلي ، اما العامل الخارجي فعامل حضاري كنا نتعرف به ولا يمكن نكراته باي شكل من الاشكال لان الحضارة تقدم مستمر ودائم .

● ما هي منزلة الفلسفة الإسلامية بالنسبة للفلسفات الحديثة والمعاصرة ؟

— انطلق اصلاً في الجواب على هذا السؤال من ان الفلسفة الحديثة لم يحدث ، ولم تقم لها قاتلة لولا الفلسفة العربية الإسلامية بذلك القول ابدأ هذا الجواب لانني اعتقد ان حضارة الغرب التي بدأت مع القرن السادس عشر للميلاد لم تزدهر فكريا وعقليا لولا التراث العربي الذي ترجم الى لغتها واطلعوا عليه ، وبدلي على ذلك اتنا نجد مثلاً ان الفيلسوف المعاصر برتراند رسل عندما يتكلم عن الفلسفة الغربية يعتبرها وكأنها استمرار للفلسفة الغربية القديمة ويعني بها فلسفات اليونان دون ان يشير من قريب او بعيد .. وان هذه الفلسفة بالذات لم تصل الغربيين ولم يفهموها على حقيقتها وعلى عمقها لولا تراث العرب الفكري ولولا شروحهم ولولا العلم العربي الذي غزا أوروبا لحين من الزمن .. واسوق على ذلك مثلاً انك لا تجد في العصور الوسطى شخصاً اوروبياً يتخرج في جامعة اوكسفورد او في جامعة السوربون ويخفى بالطلب مثلاً ما لم يكن قد اجتاز امتحاناً رسمياً يكتب ابن سينا المعروف بالقانون في الطب ، وكتاب (الحاوي) للرازي .

هذا يعطي دلالة على ان تراثنا العلمي في الواقع اعتمدت عليه أوروبا واعتمدت على كتب علمية تقدم اصلها اليوناني وبقي اصلها العربي فترجمتها عن العربية الى اللاتينية واستفادت منها .. أقول هذا ولا اعني ان الحضارة القائمة ابد غير شرعي لحضارتنا او جزء لا يتجزأ من حضارتنا .. لا اعني ذلك ، بل الذي اعنيه ان الحضارة الغربية باصولها الاولى ، لولا الحضارة العربية الإسلامية ، لم تقم

الدكتور جعفر آل ياسين استاذ الفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة — كلية الاداب بجامعة بغداد .. التقينا به في مكتبه لنحاول تسليط الاضواء على العديد من الامور المهمة والمسائل الفلسفية .

● كيف نضر ظهور النزعة العقلية في الفكر الإسلامي ومدى تأثير تلك النزعة في تراء ذلك الفكر ؟

— اجد في سؤالك هذا اسماً يجب ان نتطرق به اعتباراً من النزعة العقلية في الإسلام والنزعة العقلية في الإسلام اسماً كانت منذ الفكر الجاهلي وكتبته في تراثه ذلك حتى ان غير الإسلام .. اما بالنسبة للإسلام فقد كان القرآن الكريم اسماً مهماً في النظر العقلي حيث دعا القرآن ذاته الى هذا الاتجاه ، يضاف الى ذلك ان المشاكل العقلية التي عانها المسلمون بسور حضارتهم الاولى لم تاكل جانيها عقلياً عميقاً الا بعد الصراع العقائدي بين بعض طوائف المسلمين الذي ادى في النهاية الى تثبيت جوانب هذا الاتجاه العقلي .

ولتوضيح الموقف فان الصديق الدكتور زكي نجيب محمود يقول ان النزاع الذي حدث بين علي بن ابي طالب (ع) وبين ابن الزبير (او واقعة الجمل) كل تلك ادت الى ظهور فرق جديدة .. هذه الفرق انتهت في تفسير الموقف تفسيراً عقلياً .. تلك في رأيي منطلق ايضا من النزعة العقلية التي سادت الإسلام في ظهوره الاول ... ولا شك ان ذلك ادى الى قيام علم جديد تمثل هذا العلم في نمو الجدل الذي سمي بعلم الكلام مما جعل هذا العلم ان يثير قضايا كثيرة كالبحث عن الله جل جلاله وحقيقته وصفاته وتعلق الانسان بهذا العالم ووجود الخير ووجود الشر وكل هذه ساعدت في نمو الفكر العقلي عند المسلمين ثم كانت الحضارة اسماً اخر لنموها الجديد وخاصة في العصر العباسي الاول حيث اتجهت هذه الحضارة الى الترجمات ، وترجمات الاغريق والاخذ بذلك الفكر من قبل المفكرين المسلمين وظهر الاتجاه الفلسفي ولول مرة في حدود القرن الثالث للهجرة كان يمثل الاول لهذا الاتجاه الكندي الفيلسوف المعروف الذي يطلق عليه فيلسوف العرب .. ثم نجد ان هذا التطور ظهر وبشكل اعمق واكثر دقة في المنهج وفي الموضوعات عند الفارابي وعند ابن سينا من الفلاسفة الذين جاءوا من بعدهم .. على انني اضيف الى تلك الاسباب والنزعات التي أدت الى ظهور الاتجاه العقلي عند المسلمين ، اضيف الى ذلك عوامل اخرى اعتبرها داخلية وخارجية اما الداخلية فاني اعتقد ان في طبيعة الخلفاء العباسيين ابتداء من

أنت الموجودة أنت الغائبة

شعر
خالد الحلي

ليس لدى سوى وجهي ، وأنا مبهور كالوجه ومهجور في
الريح
الصوت جريح
وأنا وحدي
أتمشى منهجاً بالبرد .. وبرتضا من صوتي
أبحث عن وجهك والطراقات ظلام منفي .. والصوت
يصنبح
لفتي باردة كالأوراق المتسفة في جيبتي
والجيب سيكبر بالأوراق وينمو
وسيقين على صدر شقي آخر
ناثمة ..
والفجر سيأتي
* * *
أحفظ نفسي .. وأغادر نحو الأسرار المهجورة
الأسرار كثيرة
وأنا أرحل نحو الأسرار المهجورة
وأنا أيكس كالطفال .. حزينا ..
أبكي
منتحيا بالنكس
هذا الليل الصاعد في راسي .. النائم في قلبي .. الحابل
للوجه حكايات الموت
يخفي للريح .. وينمو في صوتي
وأنا أتهادى في جفني .. أبحث عن عينيك
وأنت
ترتفعين على صدر شقي آخر

لها قائمة اطلاقا ، هذا بالنسبة للفلسفة الحديثة ، اما بما يخص
الفلسفات اليونانية انطلاقا من ديكرات ونائلا على التفسيرات التي
قامت عليها الفلسفة اليونانية عند المحققين الغربيين كانت تعتمد
التفسير العربي لها .. ومن هنا فإن التراث العربي بما سجله من
آراء جديدة واتجاهات جديدة ونزعات حديثة في الفلسفة الحديثة بنظر
من مناهج اليونانيين ، كل ذلك اثر تأثيرا واضحا في الفلسفات
الأوروبية الحديثة والمعاصرة معا .

● لا شك ان للفلسفة الإسلامية موضوعات متعددة .. فما هي
برايك هذه الموضوعات ؟ .. وهل اقتصرت فقط على آراء الفلاسفة ام
انها شاركت في حقول من المعرفة الأخرى ؟

- في الواقع ان الفلسفة اساسا كما هو منقول عن الفلسفة
اليونانية التي تائر بها الفكر العربي من ناحية المنهج ، ولا أقول من
ناحية الموضوع ، كانت اساسا تعتبر الفلسفة ام العلوم فنضم اليها
جميع الموضوعات التي تخص تلك الحضارة فكان للفلسفة منهجها
الطبيعي ومنهجها الرياضي ومنهجها الفيزيائي ومنهجها الإلهي .. ومن
هنا فنحن نجد في الواقع ان الفلسفة في الإسلام أخذت بجيبيـع
جوانب العلم الإنساني عصر ذلك ، وبهذه الدلالة فإن الفلسفة
الإسلامية لا تقتصر على آراء الفلاسفة بحسب لان يضم اليها كل العلماء
العرب الذين حاولوا ان ييخضوا العلم العربي ، هذا في المدلول العام
اما في المدلول الخاص فإتاني مجال الى ان أحصر الفلسفة الإسلامية في
موضوعات ثلاثة أولها الفلسفة الإسلامية الخالصة وأعني بها تلك
الأراء التي مثلها للفلسفة في جانب طبيي وميتافيزيقي بحث او رياضي
يبحث دون ان يكون لها مساس بجوانب أخرى عقائدية أو تزعمت التمس
الى حكم العقل الفلسفي بشيء .. هذا جانب ومثل هذا على سبيل
المثال لا الحصر ، الفارابي وابن سينا وابن رشد فيما قدموا لنا من
تراث فلسفي فسخم ولكن الاتجاه الآخر فيما أعني من موضوعات
الفلسفة بالواقع .. من حقول الفلسفة ما يرتبط بعلم الكلام وهو كما
ذكرت في اجابتي على السؤال الأول ان علم الكلام كان هو المنطلق
العقلي للإسلام ولعلمي بالأخ مع نفسي بما أقول ، لو نغشنا عن
الفكر الاصيل عند الإسلاميين نجده في علم الكلام ولا نجده عند
الفلاسفة في المعنى الدقيق لمعنى الإصالة ، لان علم الكلام علم اسلامي
خالص بينما الفلسفة موضوع خارجي لتلقته الأفكار العربية وغيّرت فيه
وهورت فيه وبقيت جلوره الأصلية ، غريبا عنها منذ بدته وحتى
انتهائه .

اما المحلل الثالث فإني أعتقد ان في التصوف الإسلامي جانبها مهما
من جوانب الفكر الإسلامي على أنني مجال الى ان أحصر الفكر الصوفي
في الجوانب العقلية البهجة التي مثلها بعض فلاسفة الإسلام كالأفهام
الفزالي واتجاهات أبي نصر الفارابي وبما مثلها في الجانب العقلي ،
الحلاج وتلامذة مدرسة الحلاج وابن عربي وسائر الذين جازوا بهذا
الاتجاه الفكري ، على أنني أقول لست مجال الى اعتبار التصوف غير
العقلاني عقلاني لأنني أفرق بين ما هو مغفول وبين ما هو ليس بمغفول .
وكل ما تبع التصوف من أعمال او تجربة حسية لا أعتقد بأنها جزء من
العقل في تراثنا الفكري .

ومن هنا فإتاني أحصر القول واكرر بان الفلسفة الخالصة أولا وعلم
الكلام ثانيا والتصوف ثالثا .

« نداءات محمولة على أجنحة السنوف »

« مهداة الى
شهداء سافوي »

شعر: محمود لشابي

اناديك ، من يسمع الصوت
في ناظريك البروج تهاوت كشمس اسيرة .
اناديك ، من دق ابوابك الموصدات ،
وشجر في خحك الساحلي نصلا .. ووردا ؟
اناديك تتحفن المحطات ،
تبقي نرف الترابين والاوردة .
وتطوين جنحك فوق الحراب ،
وتأوين مثل الضامة .. في طارة المصيدة .
اناديك ها بيع صوتي ..
ونزفك بغير وجه السهوب
واروقة المقصلة
تضج لراك اشرة البحر ،
يقعدو حصاك على الارض جمرًا .. ونورا .
وابقى اناديك ،
ابقى اناديك ،
وديانك الخضر ، كل قراك ،
ميادينك الرائعات ،
تهاجر نحوك مثل البحار الحزينة .
وانت تحطين هائمة الوجه ،
عينك مثل الغروب على شاهدات المدينة .

تأمين .. لا
تفيعين .. لا
اذن ...
تمرين بين سفار المحبة والموت .
بين القاديل والفاجمة .



اذن ...

تغنين مثل دماء الشهيد ،

على الشرفة الرائعة

وصوتك يحمل كل الملايين ،

كل الحنين ،

صوتك يزرع فوق «الجليل» مضافاتنا الساهرة .

يطوف فوق الشريط المسنن

فوق مرابع «بيسان» ،

فوق رمال البحار .

يؤلف بين المراكب ، بين المرافئ

بين استعمال اللهب ، وبين الحار .

اناديك .. هل تسمعين النداء ؟

وقلبك مثل قباب المساجد ، يمشقه العابدون .

تخبئه كل الحقائق ، كل المراكب ،

يحملة القادمون .

وقلبك صار المايا الحزينة ،

صار الضحايا .

تتنين .. ؟

اه فصوتك حط العشية ،

في حضن «حيفا»

وكان الصبيحة في صدر «عكا»

و«بيسان» و «اللد» و«الناصره» .

وكان الحنين «لياقا»

وكان الحنين لصدرك .

صار الحنين لدمعك ،

صار الحنين احترافا .

تمرين بين الرصاصه والجرح ،

ساهمة الطرف ،

نافذة الطرف .. مهلا .

فخطي ثياب بنك الميامين ،

خطا .. فخطا .

ومري من النهر للبحر ،

مري من البحر للنهر ،

شوطا .. فشوطا .

فكل الدروب .. وكل المحطات ،

كل المواقع تعرفهم قادين .

وكل العيون الحزينة ، كل البنادق ،

تعرفهم قادين .

فلا خوف .. لا خوف ..

ها صدرك الوعد .. اصبح مزرعة للحراب ،

وانت تصيحين : اهلا .

وفارسك الرعد ، اصبح كل القوارس ،

اصبح صاعقة في الزنود الاسيرة ،

وانت تصيحين : اهلا

تتنين .. ؟ لا

تنوحين .. ؟ لا

تغنين .. كان السنونو يهاجر نحوك ،

يحمل من عبق اطرافك المرخيات ،

قوافك المشتهاة ،

كوهج الظهيرة .

وظل السنونو يهاجر نحوك ،

ظل السنونو صديق التوجه ،

والريح والقافلة

خطاطيف يرسلها البحر للبر

نار الزناير في الخصر ،

وهج الدروب ، على اذرع السابلة .

وابقى اناديك .

ابقى اناديك ..

صوتي تمازج فيك ،

تربع في ناظريك ،

« ويبقى السنونو يهاجر نحوك ،

يبقى السنونو ،

صديق التوجه والريح ، والقافلة » .

محمود الشلبي

أريد — الأردن

العربية خارج حدودها

مدرسة سكوية الكبرى

١٩٢٥ - ١٩٤١

د. يشار رجب اغيتش

أعدها للعربية
محمد موفكو
- يوغسلافيا -

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كذلك فقد قام عديد من الحكام والشخصيات البارزة بتأسيس مدارس مشابهة . وقد اطلق على هذه المدارس ، التي اهتمت بالتوسع في دراسة مادة دون اخرى ، اسماء منها : «دار الحكمة» ، «دار العلم» ، «دار الحديث» ، و«دار الطب» . ومن هذه المؤسسات انبثقت المدارس . وعلى ما يروى المؤرخون العرب عن تاريخ المدارس فان اول مدرسة هي تلك التي عرفت باسم « النظامية » التي اسست في بغداد في سنة ١٠٦٦ . وفيها بعد امتدت هذه المدارس الى مدن العراق ، سوريا ، مصر ، والى بلدان اخرى . كذلك فقد انتشرت هذه المدارس عبر المدن الصغيرة ، وخاصة خلال الحقبة الممتدة من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر . وقد استمر هذا الانتشار ايضا خلال العهد العثماني وذلك لاسباب سياسية ، علمية ، دينية الخ . وقد تم افتتاح مؤسسات على هذا النمط في مناطقنا ايضا . فمير الفتح العثماني للمنطق الجنوبية - من يوغوسلافيا ، الذي توازي معه امتداد الاسلام ، تشكلت هنا مؤسسات عديدة تعليمية ، ثقافية ، دينية الخ . هذه المؤسسات انتشرت تقريبا في كل مدينة من

هذه الدراسة تنطلق من ذلك الموقع الذي ترى فيه ان الخبرة الايجابية للمدارس في الحاضر والماضي تعد احدى المهام الاساسية المطروحة امام الباحثين ، ومؤرخي التربية بشكل خاص . وكتوطئة مساعدة للتعرف على هذه المدرسة سيكون حديثنا اولا عن البنية العامة ، وعن المهام الاساسية للمدرسة من الناحية التاريخية .

جذور هذه المؤسسات تعود الى مدارس الصبية ، تلك التي لاحت في بداية الامر بالجوامع . وفيها بعد نشهد هناك مستوى اعلى للدروس يعقد في غرف خاصة ، بالقرب من الجوامع . وامثال هذه المؤسسات نجدها في بغداد ، المدينة ، القاهرة ، تونس ، ونسي اماكن اخرى . ومن هذه المؤسسات يشار بشكل خاص الى «الأكاديمية الجديدة» في بغداد ، التي اسست في نهاية القرن الثاني ، وفي هذه المؤسسة كان يدرس المنطق ، الفلسفة ، الهندسة ، الفلك ، الكيمياء ، الطب الموسيقى ، اضافة الى علوم اخرى . ومن الشائع في تاريخ التربية ان الثقافة الهلنستية قد تطورت هنا بشكل ملحوظ .

مكتونيا وكوسوفا ، وفي مراكز عديدة من الجبل الأسود ، صربيا ، البوسنة والهرسك . ولم يقتصر وجود هذه المؤسسات على المدن الرئيسية ، بل امتد كذلك الى المدن الصغيرة .

هذه المدارس المتوسطة والعالية (١) وجدت لدينا مع بداية القرن السادس عشر ، على حين انه في مدن اخرى وجدت قبل هذا التاريخ . ومن الطبيعي ان تكون هذه المدارس على نمط مدارس داخلية ، بغرفة او بعدة غرف للدروس . وقد نظمت المدارس في مناطقنا على نمط مدارس استنبول ، والمراكز الاخرى في الامبراطورية العثمانية . وقد كانت هذه المدارس ، خلال حقبة امتدت من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، ذات طابع ديني — علمي . مبالاضافة الى ما قامت به هذه المدارس من تأمين الكوادر الدينية ، اهتمت ايضا باعداد الطلاب ليتابعوا دراساتهم في بلغراد ، الاسكندرية ، استنبول ، وفي المراكز الاخرى . ولم ينحصر هذا الطابع عنها الا مع النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وذلك حينما بدأت اقابة المدارس الابتدائية والمتوسطة التابعة للدولة . وبعد هذا التاريخ انتسبت التركيبة بين النمطين السائدين ، فاختصت المدارس بالطابع الديني الصرف . ومن هنا فان الحاجة التي تذهب الى ان هذه المدارس ليست الا مؤسسات دينية لا ترتقي الى الحقيقة الا بشكل جزئي — ومثلي في ذلك ، الرأي الذي يقول بان هذه المؤسسات كانت في ذلك الوقت كمدارس متوسطة عصرية .

فيما يتعلق بمدينة سكوبية ، التي هي موطن الحديث ، فان التاريخ يذكر لنا ان اقدم المدارس فيها كانت تلك التي اشتهرت باسم «مدرسة مداح» MeddahMedresa التي اسسها فاتح سكوبية ييجيت باشا . Jigit Pasha بين ١٢٩٧ — ١٣٩٨ . وقد قدمت هذه المدرسة عددا كبيرا من المتقنين ، ولعل من اشتهر الفيلسوف لطف الله افندي ، وبعد هذه القاعدة قام اسحق بك بتأسيس مدرسة اخرى حوالي عام ١٤٤٠ ، التي اراد لها ان تكون على شاكله مدارس استنبول . وقد بنى هذا القائد العسكري المدرسة لـ «رجال العلم» . كذلك فقد بنى فيها بعد مدرسة اخرى ومكتبة في القرن الخامس عشر (١٤٦٠) . وقد اشتهرت مدرسته هذه خلال قرون لاحقة على كونها اشهر المدارس في البلقان .

مع تطور المدن ذات الطابع الشرقي ، وبشكل خاص مع تطور المراكز التجارية — الثقافية في القرن السابع عشر والثامن عشر ، تنامي باطراد عدد المدارس في جنوب بلادنا . وحول هذا النحو نجد لدينا معلومات وافية في كتاب الرحالة التركي اولياء صليبي ، احد اشهر الرحالة الاتراك في النصف الثاني من القرن السابع عشر . في ذلك

الوقت تميزت من بين مدارس سكوبية مدرسة السلطان مراد ، مدرسة عيسى باشا ، مدرسة مصطفى باشا ، مدرسة يحيى باشا الخ . والى جانب هذه وجود تسع مدارس لغراء وحفظ القرآن (دار القرآن) . اما الرقم العام للدارس ، فنجد ان هناك مئة مدرسة انتشرت فقط في مكتونيا وصربيا حتى القرن التاسع عشر . وهذا الرقم يتغذى الى ١٥٠ مدرسة اذا ما اخذت الاقاليم اليوغوسلافية ككل في عين الاعتبار .

دخل هذه المدارس درس الطلاب ، اضافة الى القرآن واللاهوت والحديث ، اللغة العربية وكذلك التركية والفارسية ، كذلك الفلسفة ، البلاغة ، التاريخ الرياضيات ، الهندسة ، الفلك ، و«ما تتطلبه روح العصر» .

في سكوبية بشكل خاص سنرى في العقد الاخير للقرن التاسع عشر ان مدارس البنين والبنات اتخذت شكلا متطورا . وفي هذا الاطار تشهد مدارس ابتدائية ، مدارس متوسطة (رشدية) ، مدارس عليا (اعدادية او بها اشتهرت : السلطانية) . وفي هذا يعود الفضل الى والي سكوبية حافظ محمد باشا ، الذي اشتهر باهتمامه في الحقن الثقافي .

هذا الامتداد التاريخي للدارس في سكوبية يوضح احد الاسباب التي دفعت ، في فترة ما بين الحريسين المائتين ، الى تأسيس احدى المدارس الشهيرة ، التي امتازت بنشاطها المنظم ، ونتاجها وتأثيرها الثقافي بين السكان . ان مدرسة سكوبية الكبرى بكل تأكيد ليست امتدادا مباشرا للدارس السابقة في سكوبية ، بل انها تجاوزت العديد منها لما امتازت به من تأثير عريض .

ما تميزت به المدرسة جاء نتاجا للرحلة التي شهدت تقارب بلدان المشرق مع أوروبا ، تلك المرحلة التي بدأت فيها الاتصالات . وعلى هذا نرى مثلا في الهند تأسيس مدارس متطورة على نمط المدارس الأوروبية ، في هذه المدارس ايتي على عدد من المواد الدينية ، على حين انه اتبع في اعطاء الدروس الوسائل الحديثة ، اضافة الى التغييرات التي مست اشكال تنظيم الدروس . كذلك فقد اصبح مضمون التعليم يهدف الى تهيئة الطالب الى المرحلة الجامعية . وعلى هذا الطراز اسست «مدرسة سكوبية الكبرى» ، التي تعتبر احدى تلك المدارس العصرية ، كما هي الحال في مدرسة كلكوتا بالهند ، التي يجري التعليم فيها على نمط رفيع .

«مدرسة سكوبية الكبرى» تلك التي تمتعت بنفوذ وتأثير واسعين في الاوساط الاسلامية ، وغير الاسلامية الى حد ما ، تم تأسيسها في ظروف نوعيتم الناجية الثقافية ، الاجتماعية ، السياسية . المدرسة تشكلت اولاً لان المدارس الاخرى لم تعد تستجيب

لحاجات ذلك الوقت الثقافية ، او للاهتمامات المهنية والسياسية . اذ ان تلك المدارس عجزت عن تهيئة كوادر تساهم في تغيير المحيط الثقافي المتخلف . وبعبارة اخرى كان تدني المستوى التعليمي في الكتاتيب والمدارس واتحصار هذا التعليم بالاتجاه الديني ، اضافة الى النسبة الكبيرة من الاميين وعدم وجود العدد الكافي من المدارس الرسمية ، هو الذي دفع المهتمين بالتعليم والثقافة الى تاسيس مؤسسة عصرية تهدف الى «وضع المنصر الاسلامي في الطريق القويم نحو التعليم والتقدم » . كذلك فان المدرسة تم تشكيلها في سكوبيية بالذات لانها اشتهرت على كونها مركزا للمدارس منذ قرون عديدة ، ولكونها مركزا لـ «مجلس العلماء » المسلمين .

لقد استند تأسيس المدرسة الى الرسوم الصادر في ٢٨ نيسان ١٩٢٤ ، الا ان المدرسة لم تفتح ابوابها الا في بداية العام الدراسي التالي (١٩٢٥) . ومنذ افتتاحها جوبهت المدرسة بمحاولة الاوساط المحافظة ، التي على راسها مجلس العلماء ، بشكل تتخذ فيه المدرسة طابعا عقديا بحتا . وتبدى ذلك في قيامهم الدوري بمراقبة النشاط التربوي ، واعاقة تنظيم الاشكال العصرية للنشاط التعليمي - التربوي .

ومع كل هذا حلت سنة ١٩٢٣ نصرا واضحا للمدرسة ، مع تخرج الجيل الاول منها ، حين قسم الاعتراف بها على قدم المساواة مع المدارس الاخرى المتوسطة ، كما كتبت المدرسة في ذات العام ، وذلك ببرسوم خاص ، اعترافا اخر يمكن طلابها المتخرجين من متابعة دراستهم في المدارس العليا والكليات الجامعية . استنادا الى ما تقدم يرى الاستاذ فيدالانتونيتش V. Latkovič ان « مدرسة سكوبيية الكبرى » لم تكن الا مدرسة متوسطة عادية ، حيث تدرس فيها العربية والتركية عوضا عن اللاتينية واليونانية ، وهذا الرأي يدافع عنه الكثير من طلاب المدرسة . الذين يرون بانها كمدرسة متوسطة امتازت على المدارس الاخرى ، وكمدرسة دينية كانت فقط في المقام الثاني . وعلى ما نعتقد فانه ليس من الممكن تحديد نمط هذه المدرسة بشكل قاطع ، ولكن بالاستناد الى المعطيات العديدة نرى بان «مدرسة سكوبيية الكبرى » قد توفقت على المدارس العادية ، وحتى ان توقعها كان اوسع على المدرسة الشرعية في سراييفو . اضافة الى هذا تمكنا «اللائحة الدستورية» للمدرسة من ان نتعرف بشكل اكثر دقة على طابع المدرسة . فاللائحة تنص على ان المدرسة هي « مدرسة متوسطة رسمية كاملة » حيث يدرس فيها اضافة الى مواد المدرسة المتوسطة ، التعليم الاسلامي واللغة العربية والتركية . وينطبق

بشكل رئيسي على هذه المدرسة كل ترتيبات القانون الخاص بالمدارس المتوسطة . كذلك فان ما جاء في الجريدة الرسمية لعام ١٩٤٠ يدعم هذا ، وذلك بتأكيد على ان من اهداف المدرسة اعداد الطلاب « كي يتمكنوا من متابعة تعليمهم في المدارس العليا والجامعات » .

ومنذ افتتاح المدرسة كان عدد الطلاب يتزايد من سنة الى اخرى ، وامتد تأثيرها كذلك الى المناطق المأهولة ، الكبيرة منها والصغيرة . اما عن عدد الطلاب فتخبنا عدة معطيات احصائية عن تزايدهم . ففي العام الدراسي الاول ١٩٢٥-١٩٢٦ التحق بالمدرسة ٥٨ طالبا في الصف الاول ، وبعد فترة نرى ان عدد الطلاب في العام الدراسي ١٩٣٠-١٩٣١ وصل الى ١٩٤ في ستة صفوف . وبعد عام سيرتفع عدد الطلاب الى ٢٥٠ طالبا . هذا العدد سجل في ذاته نجاحا كبيرا للمدرسة ازاء مقاومة الاوساط المحافظة ، التي حاولت بشنى الوسائل ان تعيق الطلاب من الالتحاق بالمدرسة . وتعود دوافع هذه المقاومة ، التي كانت مدفوعة من قبل ممثلي السلطة السياسية والمشايخ غير المتعلمين ، الى عدم ارتياح هذه الاطراف الى نهضة الشبيبة ، وانتشار الافكار العلمية .

ومع ان المدرسين كانوا هم المسؤولين عن سير الدروس ، فان وزارة التربية كانت تتدخل كثيرا في سير الدروس . في هذا الإطار كانت تتدخل وتحدد ما يجب ان يعطى ، وكيف يجب ان يعطى . ومن ناحية اخرى كانت تقوم بتقييّن مبالغ فيه لعمال المدرسين والمدير ومجلس المدرسين ، وبشكل خاص النشاط الوطني للطلاب كذلك فان مجلس العلماء لم يفوت فرصة في عرقلة تنظيم الدروس ، وخاصة ازاء المحاولات التي هدفت الى ادخال الاناشيد والموسيقى كي تخدم بعض الدروس .

وحتى انه ارسل رسالة مغلطة من التوقيع الى وزارة التربية ، وفيها يشير الى ان المدرسة تحولت الى مدرسة للفن ، لان الالهيات (الاناشيد الدينية) اصبحت تشدد جماعيا بالنوتة وحتى في المساجد ! وعندها اعادت الوزارة هذه المذكرة الى مجلس العلماء . اصطحبها لبيبر بها القيام بجولة تفتيشية على المدرسة ، ليراقب كيف تجري الدروس في اللغة العربية ، القرآن والمواد الدينية الاخرى .

من ناحية اخرى ، بقودنا تحليل بنية الدروس الى ان حجم المواد الدينية ، في السنوات الاولى للمدرسة ، كان طاغيا بالمقارنة مع السنوات الاخيرة لحياة المدرسة . وهذه الحقيقة يعكسها لنا الجدول المغائر لاتجاهات الدروس الدينية :

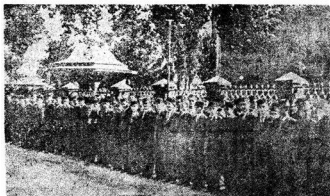
١٩٢٥

— تاريخ الاسلام



— بعض طلاب المدرسة في استعراض في احد شوارع سراجيفو

- لغة اجنبية (فرنسية — المانية)
- التاريخ
- الجغرافيا
- الرياضيات
- العلوم الطبيعية
- الفيزياء
- الكيمياء
- الصحة
- الفلسفة
- الفن
- الرياضة
- النشيد
- المدرسة الشرعية — سراجيفو
- قرآن



— بعض طلاب المدرسة ويبدو وراهم شيء من الطابع الشرقي للمدرسة .

- الفقه
- اصول الفقه
- فرائض
- عقائد
- حديث
- تفسير

١٩٢٢

- تاريخ الاسلام
- الفقه
- تفسير (قرآن وحديث)

١٩٤٠

- عقيدة
- التاريخ الاسلامي والديني العام
- سيرورة الشريعة

هذه اللوحة تشير بوضوح الى انه ابتداء من سنة ١٩٤٠ ، لم يعد يعطى من المعارف الدينية الا القليل، الشيء الذي كان منسجبا مع المدرسة الشرعية في سراجيفو ، وللانجاء المعاصر للمدرسة المتوسطة . كذلك فان اللائحة التالية تبين لنا مدى التباين بين المواد التي يتلقاها الطلاب بين هذه المدارس :

مدرسة سكوية الكبرى

- اصول الدين
- اللغة العربية
- اللغة الصربوكراوتية
- اللغة الفرنسية
- اللغة الالمانية
- اللغة اللاتينية
- التاريخ
- الجغرافيا
- العلوم الطبيعية
- الفيزياء
- الكيمياء
- الرياضيات
- الفلسفة
- الرسم
- الصحة
- الخط
- النشيد
- الرياضة
- المدرسة الكلاسيكية (العادية)
- علوم حول الدين
- اللغة الصربوكراوتية
- اللغة اللاتينية
- اللغة اليونانية

- اللغة الصربوكراوتية
- اللغة العربية
- اللغة التركية
- اللغة الفرنسية
- اللغة اللاتينية
- التاريخ
- الجغرافيا
- العلوم الطبيعية
- الفيزياء
- الرياضيات
- الكيمياء
- الفلسفة
- الصحة
- الرسم
- الخط
- النشيد
- الرياضة

هذه المدرسة تكشف لنا عن التشابه الكبير بين المواد الدراسية التي يتعلمها الطلاب في المدارس الثلاث ، ويمكن أن يقال بحق أن «مدرسة سكوبية الكبرى» تمثل نمطا خاصا للمدرسة الكلاسيكية الإسلامية . إذ ان تتبع هذه اللوحة يبين أن مدرسة سكوبية الكبرى تميزت حتى عن المدرسة الكلاسيكية بثلاث مواد . كذلك فقد امتازت عن المدرسة الشرعية في سراجيفو بمادة اضافية هي اللغة الالمانية ، التي ادخلت ابتداء من العام الدراسي ١٩٤١ - ١٩٤٠ . كذلك فان قراءة لائحة ساعات المواد تكشف لنا ان طلاب السنوات الاخيرة كانوا يكلفين بشكل كثيف بالمواد الدراسية ، وخاصة مواد اللغة . ومن المعارف الاخرى التي كانت تقدم في المدرسة نجد التاريخ ، الجغرافيا ، الرياضيات ، التي خصص لها حتى الصف الرابع ٤ ساعات اسبوعيا ، وما فوق الصف الرابع ترك لها ٣ ساعات اسبوعيا . كذلك يلاحظ اهتمام خاص بالرسم والرياضة خلال الصفوف الستة الاولى .

ولا بد من ان يشهد المرء هنا بجهود المدرسين في سبيل رسالتهم ، على الرغم مما اعترض المدرسة من عجز مادي منذ عام ١٩٣٤ . الا ان هذا لم يؤثر في شيء على حيويتهم ، بل نراهم يبدعون وسط إمكانات بسيطة ومن هذا مثلا لم تعد النظرية النسبية لاينشتاين لوحة هيروغليفية لطلاب المدرسة ، وذلك بفضل استاذ الرياضيات ي . بودغورني .

الا ان «مدرسة سكوبية الكبرى» لم تكن مجرد قلعة علمية ، بل اشتهرت الى جانب ذلك على كونها قلعة وطنية ايضا . ولذا لم يكن غريبا ان يغزوها البوليس

عدة مرات ، وان يعتقل العديد من طلابها . ولا بد من ان نضيف ان حياتها قد انتهت بسبب الهوية الوطنية لطلابها ، ولقد كان هذا بسبب الاسهام الهام الذي قام به الطلاب في مظاهرات ٢٥-٢٧ اذار ١٩٤١ (٢) . في ذلك اليوم كانت المظاهرة ، التي تحث على الدخول في الحلف الثلاثي ، تنجح نحو المدرسة التي كان البوليس قد حاصرها لمنع الطلاب من الخروج . الا ان الطلاب تسللوا من النوافذ ، وتسلقوا الجدران متسلحين بالعصى ، وسرعان ما انضموا الى المظاهرة كمتظاهرين فيها وكمدافعين عنها . في ذلك اليوم الذي لا ينسى ، مشى اساتذة المدرسة وطلابها وهم ينشدون اغاني الحرية ، ويردون الهتافات المعادية للفاشية .

وباستثناء كل المدارس الاخرى ، اغلقت ابواب المدرسة في اليوم التالي (٢٦ اذار) ، مع ان الطلاب اموا المدرسة كمعادتهم لحضور الدروس ومن يومها بقيت المدرسة مغلقة .

فترة ١٩٢٥ - ١٩٤١ تضمنت حياة قصيرة نسبيا لـ «مدرسة سكوبية الكبرى» ، الا انها كانت كافية ليحتويها ارشيف التاريخ . وما بقي من ذكرى هذه المدرسة ليس فقط تلك الانتطاعات التي يحتضنها المحيط بل طلابها ايضا الذين سطرت اسماؤهم كشهداء على عدة صفحات من سجل حرب التحرير الوطنية ، وآخرون تجدهم اليوم زعماء وكتبا ومؤرخين ونقادا واساتذة في الجامعات .

محمد موفكو



(١) نود ان نتدخل هنا لتوضح مضامين هذه التعابير ، كي لا تثير لاحقا اي غموض :

— تعبير «مدرسة» Medrese يقصد به فقط المدرسة ذات الطابع الديني لدينا .

— صيغة «مدرسة متوسطة» يقصد به لدينا المدرسة الثانوية .

— تعبير «المدرسة عالية» يقصد به هنا المؤسسة المتوسطة ما بين المدرسة الثانوية والجامعة ، وهو ما يشار اليه عادة بـ «مهمد متوسط» .

(٢) في اذار ١٩٤١ اراد هتلر ان يصفى حسابه مع اليونان عبر يوغوسلافيا ، وكان الوصي على العرش الابير بول ورئيس الحكومة سكوتفيتي ذوي ميول نازية . وهكذا تم التوصل الى معاهدة انضمت بموجبها يوغوسلافيا الى الحلف الثلاثي . لكن مظاهرات اليوسين الثاشرين (٢٠-٢٢ اذار) اطاحا بالحكومة اليوغوسلافية ، ما خلا من انقلاب عسكري ، الا ان هذا الانقلاب كلف يوغوسلافيا الفتك بها .

م . موفكو

لبنى ويوم الجمعة



قصة معربة عن الفرنسية : تعريب : رباب شهبندر

اشترته مع سترة حمراء لي تنمشي
مع ثوبي الاحمر .

نظرت امي في ساعتها وهي
تزوي ما بين حاجبيها قائلة :
(لبنى) البست هذه سيارة
والدك ؟

نظرت لتوى الى الشارع ...
واجبتها : لا يا امي انها السيارة
القديمة التي تملكها جارتنا هيفاء .
ذهبت امي الى المطبخ لترى
الساعة الكبيرة هناك ولتتأكد من ان
ساعة يدها مضبوطة وقالت ارجو ان
يأتي عما قريب ...

كانت تتحدث بصوت منخفض
وكانها تتحدث الى نفسها .

لقد تأخر عشرين دقيقة ... واذا

كنت انذاك في الخامسة من عمري ،
حين البستني امي ثوبي الاحمر الذي
ارسلته لي خالتي هناء قبل اسبوع .
كنت جالسة على الارض وبجانبني
لمبتي قرب المقعد الجلدي الاخضر
الكبير ، انامل نار المدفأة ، كان المقعد
غارغا ، وهذا ما جعلني ارتاح لان ابني
كان يجلس عليه مساء بعد عودته من
مكتبه ، كان يستلقي وهو يتابع
زفراته .

كان قد مضى على غيابيه انذاك
اكثر من سنة ، ولكنني كنت اشعر
انه لم يمش على ذلك شهر واحد .
اصفيت بلهفة الى توسع خطوط
والدتي وهي تصعد الدرج ، دخلت
بسرعة الى غرفة الجلوس وضعت
من يدها ثوبها الجديد الازرق الذي

لم اذهب الان .. فانتني ...
قالت هذا وتاهبت للذهاب
توا ...

ركضت لامسك بيدها ضارعة :
اماه خذيني معك ..
ومن جديد عقدت ما بين حاجبيها
مستاءة وكان طلبي هذا قد ضايقها ،
اجابني ببطء وهي تلفظ كلماتها جيذا :
هل نسيت (يا لبنى) ان والدك
سيأتي لاصطحابك الى شقته الجديدة ،
تذكري ما قاله لك البارحة وهو
يحاذلك هاتقيا ، ستنتزهان جيذا ،
او ستذهبان الى السينما او ستعملان
جولة في مدينة الملاهي او في المعرض
.. انا متأكدة ان اباك سيميل كل ما
في وسعه ليجعلك سعيدة وستتسلين
كثيرا ، وهذه فرصة لك لتريه البس

كذلك ؟

قلت : نعم ... لا لا ادري ..
سأحاول ان لا ابكي .
وقلت ايضا : ماما خذيني معك
ارجوك ... اريد ان اكون معك ...
اسبحي لي ان ابقي معك اتوسل
اليك ...
وامسكت بثوب امي بكل ما في يدي
من قوة .

كانت امي تكف اصابعي واحدة تلو
الاخرى لانك ثوبها خائفة :
يا عزيزتي سأقابل صديقة لى
وستحدث فيها يخس الكبار ، وهذا
سيضجرك كثيرا .
كنت اعلم ان هذه الزيارة
ستضجركى ولكنني تابعت رجائي .
اريد ان ابقي معك .
كيف سأشرح لها انني خائفة ...
وانها حين تذهب الان فلن تكون هنا
حين اعود من جولتي مع والدي ،
وقد حدث هذا مرة حين عدت من
زيارتي لجديتي ، لعبت انذاك طيلة
بعد الظهر مع اصدقاء صغار ، ولكن
عندما اعدتني جدتي الى المنزل مساء
لم يكن والدي هناك ، ولم يعد ابدا

بعد ذلك الا في ايام الجمعة حين يسأل
عني من الباب ... ماذا لو فعلت امي
نفس الشيء ؟ ...
امي اتوسل اليك ...
زفرت امي بضيق :
(لبنى) يا حبيبتي انت تدرकिन
جيدا ...
يقولون بان الام تحزر كل ما تفكر
به ها هي تقول لي :

انت تعرفين جيدا ان امك لن
تتركك ابدا ، يجب ان تكوني
عاقله ...

قلت في قلبي : لا لست عاقله ..
انني خائفة ...
وتابعت امي : تذكري يا حبيبتي انه
احيانا عندما لا يتوافق الاباء جيدا ،
وعندما يتشاجرون فان من الافضل
لهم ان ينفصلوا ويعيش كل منهم
بفرده ، ولكن الفراق لا يمنع الاب من
رؤية ابنته ، واصطحبها الى بيته ،
فالجمعة الماضي لم يصلحك والدك
لانك لم يكن قد وجد ثمة بعد ، لقد
كان في الفندق ، ولئن تكوني سعيدة
بذهابك الى غرفة بالمندق ... اما
الآن فقد استقر في شقة وسيصلحك

كل جمعة وستصبحان سعيدين مع
بعضكما .
في هذه الاونة علا صوت نغير
مقطع في الشارع عرفته راسا انه
نغير سيارة والذي ... يجب ان
اذهب معه ...
قالت امي : انه هو اذهبي
بالسلامة ، ستمضين معه نهارا
سعيدا .

وضعتني بين ذراعيها بحنان ، كانت
قبيلاتها ناعمة كشعرها الذي داعب
جبهتي ، يجب ان اذهب ، توجهت
الى الباب وانا اجر قدمي ، التفت
الى الوراء ثلاث مرات على الاقل
لارى امي حتى اخر دقيقة ، واشترط
عليها ان تكون هنا حين اعود ...
كنت خائفة خائفة جدا ولم اك
استطيع ان اعبر لها عن مخاوفي
هذه .

قالت لي : اسرعي يا حبيبتي لا
تدعي اباك ينتظر طويلا .
فتح والدي باب سيارته واجلسني
في المقعد الجاور له قائلا : اهلا يا
هرتي الصغيرة ..
هل انت مسرورة برؤيتي ، انا
مسرور جدا لانك ستكونين معي
طيلة فترة ما بعد الظهر ...
مال ابي ليقبلني كنت سعيدة انعم
براحته الخاصة التي هي مزيج من
عطره المفضل ، وسجائره وصوف
سقرته .

سألني : هل امضيت اسبوعا
جيدا ؟ هل تريدن قطعة من السكر ؟
اجبته نعم يا ابي ... كان اسبوعا
جيبلا وتناولت من يده قطعة السكر
واخذت انزع القشرة عنها ، كنت
احب هذا النوع من السكر المكون من
الحليب والشوكولا ، لقد اصطحبتني
امي عدة مرات الى دار جدتي ،
وقالت انه يجب ان تجد عملا .
اجاب والدي :

هناك مكان يقدم فيه الـ ...
طبايتهم لعمل السكرتارية ، كما ياتي
اصحاب الاعمال لينظروا في هذه

من أقوال مارك توين اللاذعة

- اذا التقطت كلبا جائعا واطعمته فانه لا يعضك .
- وهذا هو الفرق بين الكلب والانسان .
- الالة .. تولد المقت والاطفال !
- هناك حالتان في حياة الانسان ينبغي له فيها ان لا يقامر او يضارب بالبورصة : عندما لا يستطيع ذلك وعندما يستطيع ذلك !
- كن طيبا بق وحيدا .
- النجاعيد يجب ان تشير فقط الى حيث كانت الابتساكات !!

الطليات . ولم نتحدث بشيء آخر حتى اجتزنا الريف ودخلنا في اطار المدينة . قال : اعتقد ان سكني الجديد سيعجبك وخاصة لان بقرية حديقة لاعاب الاطفال وبامكانك اذا رزيت والدتك ان تأتي لعندي منذ الخميس وتبقى حتى مساء الجمعة ستنامين على الاركة في غرفة الجلوس ، هل تحبين هذا ؟

اومات براسي دلالة الرضى ، لكن والذي لم يرنى ... ولذلك فقد كرر سؤاله ..

ولم اكن بدوري اعلم اذا ما كنت فعلا ارجب في ذلك ، او اذا ما كنت والتي توافق عليه ... توقفت والدي في مكان تحتشد فيه السيارات

المصطفة ... وكانت المنازل كثيرة متراسة بجانب بعضها ، وقال والذي :

ها قد وصلنا ان شقتي في البناء المجاور ...

كانت الشقة في الطابق الاول ، وكانت غرفها صغيرة بالنسبة لمنزلنا في دوما حيث اظن مع والتي ... لكنها كانت انيقة جدا وواسعة . والاثاث كان رائعا ولامعا وجديدا . لاني والذي هل اعجبك هذا الاثاث لقد اخترته بعناية .

قلت : نعم (بحركة من راسي) . دخلت المطبخ وفتحت الثلاجة ، لم اجد فيها سوى زجاجات الحليب والبيرة ، كان والذي يضحك قائلا : لم اهيء ادوات المطبخ بعد ، لذا افكر ان نتناول طعامنا اليوم في المطعم ، هل توافقتين ؟

اجبت (بنعم) . في الماضي عندما كان الجو يصحو يوم الجمعة كانت امي تطهو الخضار في المطبخ بينما كان والذي يشوي اللحم في الحديقة من اجل الغذاء ، فكرت ان لا يمكن لنا ان نعمل ذلك في مثل هذه الشقة . امسك والذي بزجاجة البيرة بكلتا يديه وفتحها له بفمناح الزجاجات فقد كنت منذ مدة

طويلة اعمل ذلك وكاتني كبيرة وكذلك كنت اشعل له لفافة سجائره ... داعب شعري قائلا :

انك تكبرين مع الايام وتصبحين اكثر قوة ، هل تريدين كلسا من الحليب ...

قالها وهو يصب لي الحليب بينما ملا لنفسه كلسا من البيرة .

وتابع : سنحبل شراينا الى غرفة انجلوس وسنتحدث ونحن جالسان على الاركة ...

ماذا تريدين ان نفعل اليوم ؟ اجبت : في الاسبوع الماضي ذهينا

الى السينما لرؤية احد افلام الاطفال ، وفي الاسبوع الذي قبله ذهينا الى الخالة هناء ولعبت في حديقته وقبل ذلك ذهينا الى حديقة الحيوان والجمعة التي سبقت ذلك لم ار والذي لانني كنت عند جدتي ولم يكن قد مضى وقت طويل على تركه منزلنا في دوما كنت ابئس كثيرا حين افكر في ذلك ، ولم اعرف ماذا اريد كل ما

عليه ان والذي سيصطحبني حيث اريد لان امي هي التي طلبت منه ذلك ، اما انا فلم اكن شخصيا راغبة في اي شيء ... كانت لدى بنفس الوقت فكرة الذهاب الى مدينة الملاهي .. وافق والذي وقال انه لم يذهب اليها منذ مدة طويلة ... وطلب مني الاسراع في شرب الحليب لنذهب فورا .

حين كنت في السيارة شعرت بالسعادة الحقيقية ... لم تكن بعيدة جدا فقد وصلناها بسرعة وكان والذي يشد على يدي ... كانت فيها كل وسائل التسلية : ترويض الخيول ، ومختلف الاعمال الكبيرة العالية التي تدور ، والمراكب التي تسير في البركة . قلت لوالدي :

امي تقول بان هذه الاعمال تسبب الدوار ، وخالتي هناء تخاف كثيرا من ركوبها اما جدي فيقول بانها تسبب مرض القلب ... ابا بالنسبة لي فكانت شيئا محببا

لا يسبب مرض القلب ولا الخوف ... قلت هذا لوالدي .

فاجاب : هذا لانك شجاعة جدا ، هل تحبين البوظة ؟

اجبته جدا جدا ... اشترى لي والدي واحدة من البائع ، وجلسنا على المقعد ريثما اكلمها ، كانت من الفريز وهي لذيدة جدا .

سألني والدي : هل ابتدت امك بتدريتك على السباحة ؟ قلت : سنذهب الى المسبح في غضون ثلاثة اسابيع .

كنت افكر : اه لو كان ابي وامي يعيشان معا ، فقط لو كانت امي في زيارة لخالتي هناء .. لو ابطت اسبوعا عند عمتي الهام كما فعلت في الاسبوع الماضي .. حين بقيت وحيدة مع والدي واصطحبني في نزهة معه ، وعندما عدنا الى المنزل وجدنا امي قد عادت لتوها سالها والذي . هل انت هنا منذ مدة طويلة ... قالت : منذ ساعة ...

رعبت ورقة البوظة والعود الصغير في سلة جاورة .. وعدت الى المقعد سألت والذي : هل نستطيع ان نأخذ المركب المائي ، وافق والذي وجلسنا في المركب متلاصقين شد حزامي وسار بنا في بطة في البداية ثم بسرعة اكبر فأكبر وارتفع بنا ثم هبط فجأة كان شعري يتطاير كم كان هذا رائعا ... اه لو انه يستمر دوما .

لكن فرحي انتهى حين قفزنا من المركب ... امسكت بيد والذي ، وكانت رجلاي يبللتين ... سألني والذي : هل تسليت يا حبيبتى ؟ قلت : اوه ... نعم ... نستطيع ان نبدا دورا جديدا .. اليس كذلك ؟

قال : اذا كنت ترغبين بذلك فلا مانع ولكن لنفعل قليلا ، ولنأخذ الان لعبة الخيول الدائرة ... ركب ابي معي مرة ثم وقف خارجا وهو ييشم ...

كنت الوح له وأنا على ظهر الحصان ثم الزرافة

بدأت اشعر بالجوع ، فاشتري لي والدي قطعة من الحلوى ... وبينما كنت اكلها اقرب اناس منا رجل وامرأة ومعهما صبي يكبرني بقليل ، وفئة تصغرني قليلا ...

قال الرجل لوالدي :
(احمد) لم تكن ننظر مثل هذا المستقبل ؟

اجاب والدي : اترى ؟ والتفت الي قائلا :

(لبنى) هذا هو السيد علي نجار وهذه هي حرمه كانوا جيراننا قبل ان نطن في (دوما) كنت صغيرة جدا انذاك ولن تتذكري ذلك .. كان اسم الطفلين (علي) (وريمة) ...

سالت السيدة نجار : كيف هي (عايدة) ... (وعايدة هي امي) قال والدي : هي بخير ... والتفت اليها نحن الصغار قائلا :

بماكلكم ان نذهبوا الى الاروحة ... وسامعكم تقودوا لتركبوا (القلابة) ايضا . ان احاديث الكبار لا تسلي الصغار ابدا ...

قلت في نفسي : ان امي تقول هذا ايضا .

امسكت (ريمة) بيدي واخذ علي بيدها الثانية وذهبتا .

كنت اسمع السيدة نجار تتحدث عني ، كم هي جديفة هذه الصغيرة ان الاطفال يضحكون باستمرار . اجاب والدي : صحيح لقد تغيرت منذ ملاقتنا .

قلت : لتسرع

واسرعا وركبنا اربعة ادوار في القلابة وتارجحنا ... الا ان ريمة اكثفت بعد قليل وعادت الى امها .. واخيرا عدنا الى اهلنا ، جلست ريمة على ركبة والدنا .. والتصق علي باله التي عاتقته وقبلته في راسه

وجلس بينها وبين والده .. كانت السيدة والسيد نجار وعلي وريمه اسرة كما يصورونها في الكتب القصصية او في التلفزيون .. انهم معا طول الوقت .

اما ان فقدت وحيدة مع والدي ... لقد افترق والداي ... وهما يسكنان في منزلين منفصلين لقد ذهبت امي في زيارة لصديقتها واصطحبني والدي الى الحديقة وفي المساء سيعيدني الى امي ولن اراه بعد ذلك حتى الجمعة المقبلة ، ولن نكون معا ابدا .. ان هذا محزن جدا .

امسكت بيد والدي ، وانفجرت على صدره اقبله بقوة ... وجنونا . قال : ايه ... ماذا اصابك ؟

ضحكت السيدة نجار بيننا كان علي يفرك رجليه في الارض .

خففت رأسي ... لقد شعرت بانني مندقعة للتصرف بحياة اناذاك ... ولم ادر كيف تصرفت .

سالت السيدة نجار اذا ما كنت احب الذهاب الى المدرسة ... اجبتها :

انني ، سأذهب اليها حين يفتح وانني لن اذهب الى روضة الاطفال بل الى المدرسة الابتدائية .

وهنا بدأت ريمة تبكي وقال السيد نجار انه قد ان وقت العودة ...

ورافقتنا اسرة نجار الى المركب المائي لنبدأ دورا جديدا انا والسيد قبل ان نذهب الى الغداء لكنني هذه المرة (وهذا امر مضحك) لم اجد

في المركب ما يسلي ولا ما يضحك او ما يدعو الى الصراخ فرحنا ...

وعندما ارتفع بنا المركب الى الاعلى كنت ارى الاسرة الصديقة تراقبنا .. كانوا جميعا متماسكين بالأيدي ... وكانت حاجتي للبقاء ملحة جدا ...

ذهبوا بعد ذلك ... وسيمودون الى البيت

انتهى دور المركب وعمدنا الى سيارة والدي .. وفي الطريق تعثرت ... وتعلقت بركبة والسيد

لم اشعر بالمد يدك لكنني بكيت ولم استطع التوقف عن البكاء ... امسك والدي منديلا ومسح بلطف السحجة انني ظهرت في رجلي قائلا :

انظري لا يوجد شيء ... ولا يوجد ابدا ...

كنت اتابع البكاء رغم شعوري بان الامر تافه .. ابكي لان كل هذا سينتهي غدا ... اضطرب والدي وحملني بين يديه الى السيارة .. قائلا - هيا يا حبيبتي كوني شجاعة انت تعلمين انه يجب الا تبكي يوم الجمعة .

كان وجهه ضاحكا لكنه كان متألما في اعماقه .

توقفت عن البكاء وحين وصلنا المطعم ، كنت متعبة جدا ، تناولنا غداونا ، وكان لذيذا لكنني لم اكن جائعة بل كنت افكر بانني سأتارك والدي واتساءل : هل سيمعود لاصطحابي في الجمعة المقبلة ، وهل سيسنى ... هل سائق قطع عمن رؤيته الى الإبداء وباتنه ستمر ايام كثيرة قبل يوم الجمعة ..

اكلت بسرعة لانني اريد ان التصق بوالدي في السيارة ، وارغب في ان ارافقه من جديد الى شقته وعندما انتهيت كنت لا يزال امامنا بعض الوقت قبل العودة الى دوما ... كنت متألما كثيرا حين دخلت شقة والدي ، ركضت راسا الى الحمام وتقيأت على الارض كل ما اكلته على الغداء .

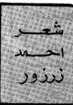
قال والدي ساعطيك شيئا يهدئك لقد تناولت غداك بسرعة .

اعطاني قطعة من سكر النعناع مما جعلني ارتاح ، صحيح لقد اكلت بسرعة دون ان امضغ طعمي لم يوبخني والدي بل قال لي :

من الافضل يا حبيبتي الا تخبري اباك بما جرى لك حتى لا تظن انني لم اهتم بك كما يجب .

المهم انك بخير ، ولن تشعري بالمد في الليل طبعاً .

التجول في مدينة الموت



كنت افكر بكتمان الامر عن امي
حتى لا تحرمني من رؤية والسدي في
المستقبل ، ولكن المؤلم حقا ان يخفي
الانسان شيئا عن امه ...
كان والدي ينظف الحمام وقد حان
وقت عودتنا .
سألني والدي من جدد اذا ماكنت
مرتاحة .. فأكنت له انني اشعر
بتحسن كبير .
وفي الطريق الى امي لم نتكلم
ابدا ... كنت افكر في اسرة النجار
.. وصلنا (دوما) امام المنزل الكبير
عانقني والدي وبادلته العناق من
كل تلمي ...
قال : عسى ان تكون امك قد
عادت .
فتحت امي الباب وهي تسألني
بلهفة :
هل تسليت يا حبيبتي ؟ اجبتها نعم
يا امي .. جدا جدا .
اغلقت امي الباب بعد دخولي
وترأى الى سمعي صوت سيارة
والدي وهي تتحرك .
انها لمهزلة حيث اقبلن في منزل
امي ، انني اشعر بالفربة وبأنني
لست في بيتي ..
اشعر كأنني في زيارة لغرباء ..
انه لامر محزن حقا ، وانا بحاجة
الى البكاء ولكن يجب الا ابكي في يوم
الجمعة .. هكذا قال والدي ...
انتهيت الى صوت امي : الا
تنامين ؟
كنت بحاجة الى النوم وعيناي
كانتا مغمضتين وأنا اغري ثيابي ..
انني انام الان وقد انتهى يوم
الجمعة الجليل .. ويجب ان انتظر
اياما كثيرة قبل ان اعود الى جمعة
اخرى وارى والدي ...
لكن امي هنا على الاقل ...
اما اسرة (النجار) فهي اسرة
كاملة فيها الاب والام والاولاد كلهم
معا بان واحد .

رباب شهيندر
— دمشق —

في احناء مدينتنا المصنوعة من الواح الصاج ،
وعلب الكرتون ،
وسيقان الوحل ،
ومكتسفي فتيات الشائشة ،
وعباقره الجدل المدعوم بسبك النظارات الطبية
وبريق الصفحات الشمسية ..
واوراق الصحف البالية ..
واكداس الكتب القترية المصطفة فوق الاماخا الصدنة
وحوانيت الاترياء المتسوجة من اوراق الليل الكابي
....
اسهر ..

اسهر ..
انجول تحت مصابيح الحلم الساذج في طرقات ناعمة
الملمس ..
تجلوها عجلات العربات المنخبة بعطر ثنائيات الكاس ،
ثنائيات السيجار ..
ثنائيات المخدع ..

وفراى الاحساس المهزوم بشيء لا يظهر
الا بين رماد الجفوة ،
....
واسير ...

اسير ...
افتش عن تفسير للحلم المتخلق من خجل الحزن ،
وشمس الوعد ، وقمر الصيف بقرية اشعاري البكر ..
افتش عن ايزيس تلطم مزقي
تبحر عبر محيطات عذابي ،
تجمع اشلاء جراحي ،
ونثار مناهاتي ،
....
واظل ..

اظل ..
يتيمأ
فمدينتنا الغول بجنع الوحشة :
اكلت قلب امي
نزعت رقة امي ،
عفرت وجه اخواني برمل الذاتية ..
فتخطوني .. جثة شوق غارقة في دمها المتسي ..
ولا اعتب
لا اعتب ..
..فمدينتنا منجل موت في كف الشيطان ..

احمد زرزور الحامي
سروهييت- مركز منوف - مصر

رأي معاصر

تأليف :
اسخيلوس
ترجمة :
امين سلامة

في مسرحية حامل الإبريقين

بقلم : عزيز حرز علي

اورستيس (لقد امرني الوحي العظيم ان انتقم لوالدي
من الاثين وامرني انا الثائر لفقد املاسي ...)
وهذه الحوارية الاخيرة تسلط الضوء على

ناحيتين مهمتين :

الاولى : هي ان هناك في داخل الاسرة الحاكمة في
اثينا كان يوجد صراع حاد حول الاستيلاء على السلطة
والذي كان يتم باتباع اخس الوسائل واحقرها .

الثانية : تاكد المفهوم القديم حول الثروة وضرورة
تركيزها بيد ابناء العائلة . لان الثروة من الناحية
المادية الاقتصادية ملكة وسائل القوة .

كما اننا نجد في قتل كلمنسترا وايجنسوس امتداد للفكر
اليوناني القديم ، الذي يقرر عقوبة القتل للزانية وامتداده
بعد ذلك في الديانات القديمة اليهودية والمسيحية
والاسلامية وفي اغلب القوانين الوضعية العربية .

والذي يلحظ ان اورستيس لا تحل فيه اللعنة التي
حلت في اغا ممتون وكلمنسترا والتي ذكرناها سابقا « من
اراق دم انسان فسوف يريق دمه انسان » الا انه قد
تلقى امره من اله الذكور ابولو ، وهذه الفكرة الاخيرة
اوجدت لتعزيز العرف القبلي الذي كان يقسّد السّار
والقصاص .

ان الذي يلتفت للنظر في مسرحية اسخيلوس هذه هو
الغواؤه اسباب وتبعه المأساة على المرأة ، وموقفه هذا
لديه امتدادات في اعمال سابقة ، ففي اغاممنون راينا ان
سبب الحرب الطروادية هو خيانة هيلين وهروبها مع
باريس ابن ملك طروادة ، وما ترتب على ذلك من
حرب دامت عشر سنوات ، كذلك في مسرحية

يتناول اسخيلوس مسرحيته حاملات القرايين ،
وهي الجزء الثاني من الاوديسيته — مادته الدرامية من
داخل الاسرة الحاكمة في اثينا ، وهو عكس توجهه في
اعماله السابقة (الفرس ، اغا ممتون) ، اني تكون فيها
احداث الخارج اولا ومن ثم تنسحب على الداخل .
ان الحدث الذي تدور حوله مسرحية حاملات
القرايين كتب لتحقيق فكرة العدالة وهي انزال التماص
بالقاتل بالثار الى المقتول (فكلمنسترا وعشيقتها
ايجنسوس قتل الزوج اغاممنون واغتصبا الحكم في
اثينا) ولذلك يجب ان يقتلا قصاصا على ما ارتكبا من
اثم .

وهذه الحقيقة تتأكد منذ بداية الفراجيديا في صورة
الحلم الذي تراه كلمنسترا والمتجسد بكونها قد ولدت
افعى وارضعتها كما لو كانت طفلا ، غير ان تلك
المخلوقة المهلكة كانت ترضع من لبن الام دما متخفرا
من ثديها .

وهذا الحلم هو اشارة واضحة الى مجيء ابنها
اورستيس من منفاه ، وقتله اياها مع عشيقها .
يقول الكورس « من اراق دم انسان فسوف يريق
دمه انسان » وهي الشعيرة الدينية المبينة على فكرة
الانتقام . كما ان هناك كثيرا من الاستشهادات تؤكد
مسألة الثار في المسرحية .

اورستيس . (اي زيوس امنحنى ان انتقم لموت
والدي) . لكن الذي يضح لنا ان اورستيس لم ينتقم من
ابه وعشيقتها ايجنسوس لجرد انها قتل اساءه فقط ،
وانما كونها قد اغتصبا الحكم منه وبهدا ثروة العائلة .

أفعال سيدي الخبيثة ..

ثم تبدأ بيزر روح الانتقام في صدر الكترا مذكرة إياها بابيها وقائله وشاحنة معنوياتها بعودة أخيهما الذي سوف يأتي للانتقام .

والجوقة هنا كأنها هي مسؤولة عن رعاية الكترا وأخيها أوريستيس للوصول بهما إلى تحقيق الهدف الانتقام . فهي تعاملها كالأطفال تخاف عليهما من الهمس « إيهما الطللان يا منقذاً وطيئس إيبكا لا تتكلم بصوت عال خوفاً من أن ينقل أحدهم حديثكما لسيدينا عائسي الهمسها يوبا ما مبتين وسط دخان الهمس القائم » . وكما فعلت مع الكترا تبدأ بممارسة عليها مع أوريستيس وتنبه إلى ملكته التي اغتصبها عدوه ، ومصير أبيه الفاجع وبعد أن تمت الجوقة كلا من الكترا وأوريستيس نفسياً للانتقام تبدأ بتنفيذ الخطة بالاشتراك مع الكترا وذلك عندما تطلب من المريبة أن لا تبلغ رسالة كلينسترا إلى زوجها بالجلجى مع حرسه الخاص وإنها المجرىء بفرده حتى يسهل الأمر عليه في قتله .

ومن هذا نلاحظ أن الجوقة وهي مكونة من مجموعة النساء السببات الطرودايات الأجنبية ، قد تدخلت كثيراً في حياة الأسرة الحاكمة .

بناء الشخصيات :

قدم لنا اسخيلوس شخصيات ديناميكية حية ممثلة بالمشاعر والإحاسيس . فهو لم يقدم نماذج مقولية جامدة كما يفعل الكليون من كتاب عصرنا . إضافة إلى أن شخصياته درامية تلك رصيدا غنيا من تجارب الحياة المتنوعة .

فشخصية كلينسترا الدرامية هي محور ومحرك للأحداث ابتداء من اغاممنون حتى حاملات القرابين . كذلك الكترا البسيطة والرقية تجربها الحياة بظروفها القاسية بالتحول إلى امرأة عذيمة المشاعر ، ولم يقدم لنا المؤلف هذا التحول بشكل مفاجئ وكثيرية خالطة وتوتر سريعا وإنها عن طريق معاناة حقيقية واصلية نر بها الشخصية .

الكترا . ومضى سينزل زيوس الجبار يده عليها — ويلي ؟ ويشق رأسها أربا ؟ ليكن للأرض نصيب منها .. وبعد الظلم اطلب العدل بحق . اسمعي أينها الأرض واتمم إلهي القوى السفلى البجلة .

أما أوريستيس فهو لا يقل حرارة من أخته الكترا إذا لم نقل أنه يفوقها في البناء . فهو شخصية محبلة بمعاملة عميقة إذ أنه يواجه خصومة من البشر من ناحية ومن ناحية أخرى يواجه الآلهة التي تستصعب لمعنتها عليه وتحوله إلى مسخ إذ لم ينفذ إرادتها . ومن هذا الموقف اكتسبت شخصيته بعدما الدرامي .

عزيز هوزلي

« الضارعات » نجد أن أسباب الحرب بين أثينا والحريين القدياء هو تبرد الضارعات ورفضهن الزواج من أبناء عمومتهم وهروبهن إلى أرجوس عاصمة بلاد اليونان آنذاك . كذلك نلاحظ أن تراجيديا هذا العمل كتبت من أجل انزال القصاص بكنيسترا التي خانت زوجها . ويصل موقف اسخيلوس في المسرحية بوصفها نائفة العتل . والوصف الأخير يوجد لديه صدى في مجتمعنا العربي .

كما أن التحول الذي طرا على شخصية الكترا الرقيقة وجعلها تقف موقفا صلبا تجاه إلهها وعشيقها يعزى إلى أنها قد تقبضت روح إلهها كلينسترا . إلا أن جورج طومس الناقد الإنكليزي يقول في كتابه الأصول الاجتماعية للدراما « بأن البيئة القاسية هي التي غيرت الكترا وجعلتها تشبه إلهها » .

كما أن هناك عدة حواريات تؤكد موقف اسخيلوس غير العادل من النساء .

الكورس .. ولكن من ذاستطيع التكن بروح الرجل البالغة الجراة وبالعواصف المنورة للنساء المتصلبات الروح ، وريقات ويلات الشر ، تسيطر على المرأة عاطفة جامحة قوية تنال انتصارا قاتلا على زيجات الوحوش والبشر على حد سواء » .

حتى أننا نجد الكورس الذي يتألف من النساء توجد لديه روحية الانتقام والدعوة إلى استئصال القسوة . وموقف اسخيلوس هذا من المرأة أسبابه الصراع بين الإيدينيات وأبولو ، الصراع بين سلطة الذكور وسلطة النساء ، وأثينا كانت تنحصر إلى مبدأ الأبوة الفثاغورسي كما يقول طومس . ونحن نعتقد بأن المجتمعات التي يكون نظامها الاقتصادي قبليا ومختلفا ولا يسمح للمرأة فيه أن تشارك في العملية الاقتصادية بممارستها للهن ، هذا النظام كثيرا ما يظهر المرأة بنظائر قائم وينسب إليها السلبيات والفواجع .

بناء المسرحية الفنية

إن اسخيلوس أعطى الدور الرئيسي في هذا العمل إلى الجوقة إذ أن فعلها المسرحي يبداه من المناحة والتخريض على الإخذ بالثأر وتحقيق نبوءة انزال القصاص مروراً بالصراع مع الشخصيات الرئيسية وصولاً إلى المساهمة بشكل فعلي في قتل كلينسترا وإيجيتيسوس . إلا أنها بعد نهاية الفعل يفتزو قلبها الخوف على مصير أوريستيس والبكاء عليه من المصير الظلم الذي ينتظره ، وأخيرا إرشاده إلى أبولو .

ففي بداية المسرحية نرى الجوقة تبكي الوضع الفاجع الذي حل ببيت سيدها القديم اغاممنون وتق سارخة بحجة على أعمال سيدها الجديد .

الجوقة : « وقد تجدد قلبي من الحزن الدفين أبكى

يأتي الليل
 فوق ككوز منيرفا
 بقع ظاهرة من الق صافي
 ومعايد مدخرات الرؤية
 تختال القطمان البيضاء
 عبر مراعي وجد هاديء
 في الظل القشوان
 ابرار مبهرة تنهادى فوق عيون تفتو
 يتعاب نجم ... يشعل ومضة
 انفاس نفاحية
 تولد .. تستيقظ .. تنمو .. تنساب
 التاي
 يجمع تسيبحات الريح السكرى
 الموج يصل
 كمذاوى حسناوات في ثوب خشوع
 اللؤلؤ يصاعد فوق الماء
 حلياً مسوعاً
 همسا .. همسا
 يواكب في اضلاع فرائشات مسحورة
 خرجت من طيف
 القمر المتقي يعود
 ينسدر في ثوب فناره
 الزهرات الخجلي تزهو .. تمشي في الطرقات
 توميء للافنان
 تغرس انسان
 اللحن يفور على كاس اخضر
 قيثار يسكر
 تتسامر اعمدة الياسوت
 لون يطمئن
 يتكسر
 يتواصل .. ينساب خيوطا
 الاعين سهم ومخاره
 يخرج منها اللؤلؤ
 يتألف في الخلجان
 تسقط حبة رمل
 تلهو في ارجوحات الموج
 وتنداعب كف الزبد المخمور
 احرف شعر عريبد



الليل

عبد الوهاب في دلو

تساقط في جبل الثلج ..

يفرور

شلال يبعث أشسوده

ضوء يتقطر

ضحكات طفولة

ورداء قصيدة

الأوراق تفيض عذوبة

تشرب من وجد السمات

الجرح يفيض خصوصية

قنثار ملتهب ..

يعزف فوق القار

الحانا صوفية

نفها وضاء

يزحف في الأشياء

صعلوك يقرأ في صفحات الميلاد

عن اقواس قيثار

تندثر فيها حوريات البحر

جوقات تتلالا

نجات تتعلق في اغصان الضوء

سابعة في شجر الليل

تنغام في الاهداب

تسجح هوكب فينوس

واميرا فوق الاولب .. صفاء يتجسد

يستنشق خمير الايروس

يصعد للجد الخالد

تهبط اشجار صنوبر

من فردوس اللا منظور

تاخذ تحت الاجنحة البراقة

احلام طيور

سمك فضي يحسو قبيلات الاصداغ

يتخدر

يتشاب

.....

تخترق الصورة

كل حواجز ما كان

تترنح اصوات الضوء

في نبع هزيم تفتسل

تعلو الانفاس فيتل

اصوات الضوء تغيق

تتكاثر اسرابا اسرابا

الليل يخاف

يتعالى النهر

الليل رهيف

اجنحة الاشجار تضيق

عش ينهاوى .. تبغثر منه حروف

اللون خيوط

تتكسر

شمس تخرج من هاوية البرق

الحزن العذب يطوف

الليل يموت

في قم الثلج ضجيج

الاعين مغممة تخترن النوم

تحت نقاب من لهب ممتد

الموج طليق

يرتجف المرمر

انفاس تتعثر

سفن تخلي تنفي في صحراء خليج

ازهار تضطرب

احلام احلام تصطب

الموتى ينتظرون

الم ساجر

يصاعد من اعين لاوكون

ينتظرون

وضجيج ..

وضجيج ..

وضجيج ..

عبد الشافي داود

القاهرة



اسماعيل مظهر

ومنهج في النقد

بمقام : الدكتور جليل كمال الدين

هو زعيم مدرسة (الديوان) الرومانتيكية في مطلع القرن العشرين في مصر ، وهو فيلسوفها وكبير نقادها ، وقد انتهت به الرومانتيكية الى اللبرالية من جهة ، والايمان بالميتافيزيكية من جهة اخرى ، بالرغم من التناقض الظاهري بين هذين القطبين ، والحال انهما وجهان لمذالية واحدة ، هي مذالية الرومانتيكية .

وفي هذه المناقشات ايضا يتضح ايمان اسماعيل مظهر بالمادية الديالكتيكية كفلسفة ، وهو يذود عنها سهام العقاد الطائشة ، ويصحح له تهويلاته ، وتحطاطاته في هذا المنطق في مقالته المشهورة « بين التصحيح والتوضيح » . ومظهر قريب الى الصواب ، حين يقول : (ويقصد بالجدلية التعبير عن تواصل الاشياء تواملا حركيا وشبولية التغير بما تنصف به هذه الشمولية . ويخلص مظهر من ذلك الى رفض جميع الماورائيات (ما وراء الطبيعة) وهي الميتافيزيكية ، في الجوهر ، لانها

الشهابي ، ومحمد حسين هيكل ، وعلي مصطفى مشرفة ، وابي خلدون (ساطع الحموي) ، ومحمد رشيد رضا ، وسلامة موسى ، وحافظ محمود ، وكذلك في خجله مناقشاته للكتاب (الجانب مثل بيزون) ص ١٠٦ ، وغرائك كرين ، ورومان رولان ، والسر اوليفر لودج وغيرهم . ونستطيع ان نقول ، بثقة ، ان اصول المنهج النقدي لاسماعيل مظهر ، تتلخص في الموضوعية ، والروح العلمية ، والمادية . وتتفرع عن هذه الاصول جملة فروع هامة هي ايمانه بالواقعية اسلوبا للتعبير الفني ، والانسانية في النزوع المحلي العالمي ، ورفض الرومانتيكية والميتافيزيكية واللبرالية .

ففي مناقشاته الحادة للعقاد يتضح جانب من هذه الاصول النقدية . فهو ينتصر للانسان ، وينتصر للعقل والارادة الانسانية ، ويرفض الميتافيزيكية واللبرالية اللتين كانتا تؤطران لبعض كتابات العقاد النقدية . ولا عجب في ذلك ، فالعقاد

اشتهر اسماعيل مظهر بالبحث العلمي السدائب في الحقل الادبي والفكري والاجتماعي وحتى السياسي . ان اسماعيل مظهر من كتاب الطبيعة في عصره . كان يقف في الطرف الاقصى من حلبة النقد والبحث لا يجامل ، ولا يداجي ، ولا يحابي . همه ان يقول رايه ، وهمه ان يقول الحقيقة كما يراها ، دون خوف او خشية لومة لائم .

وما يبسر الحديث عن اسماعيل مظهر ، نقادا ، كتابه الذي اصدرته دار مكتبة الحياة تحت عنوان « في النقد الادبي » . وهذا الكتاب هو مجموعة امينة لمقالات اسماعيل مظهر في النقد الادبي . فهو اذن يعرض ، في الجوهر ، وجهة نظره اسماعيل مظهر في النقد الادبي ، او ما نسميه نحن « بالمنهج النقدي » له .

يبين المنهج النقدي لاسماعيل مظهر في خجله مطالعته النقدية من العقاد ، وطه حسين ، ومصطفى

مستمدة من الوجودية المثالية .

ويرى مظهر ان الروح العلمية والمادية اسمان لمسى واحد ، وهما لا يناقضان الخير ، بل هما يفوتان الروح الميتافيزيقية السدنية ، التي يؤكد مظهر ان العقاد يزعم انها احد الجناحين اللذين لا يطير العالم الا بهما .

ان هذه التصحيحات المادية التي يقوم بها مظهر لفكر العقاد اللبرالي تقوده الى مواجهة حادة مع الدكتور طه حسين ، المعجب في اطوار ثقافته الاولى بالبرالية الغربية ، والفرنسية خصوصا ، حتى انه ليؤثر نقل الاسماء العربية للواقع العربية بنطقها الغربي ، وذلك عندما أسى موقع (مرجع راهط) الشهير في التواريخ العربي : (مرجع رات) الذي يذاب المستشرقون ، ولهم عذرم ، على ترديده .

وتستمر هذه المواجهة ، حينما يصطدم مظهر بابراهيم المازني ، زميل العقاد في مدرسة (السديوان) الرومانتيكية ، والسرواني القصص الشاعر العربي المعروف . فهو يشخص احد مظاهر الضعف لدى بعض اجنحة الرومانتيكية العربية ، وكل رومانتيكية ، وهذا المظهر هو الاهتمام بالصياغة والشكل على حساب المضمون ، او على حساب الوحدة العضوية بين الشكل والمضمون . ويلحظ مظهر بعين الناقد الواقعي الموضوعية ان المازني يكتب دون وعي ، وانه ادب من الطابع الذي لا يعني بالفكرة بقدر ما يعني بالصياغة ، وانه يتخطى في افكار غير منتظمة او غير متناسقة ، كما يلحظ اهتمام الرومانتيكيين ، ممثلين

فيه ، بالفولكلور ، وهو اهتمام محدود ولكنه يتحول على ايدي بعض الرومانتيكيين ، مثل المازني الى الميل الى غليظ القول على حد ما يقول مظهر .

بيد ان اسماعيل مظهر لا يحابي ، كما قلنا ، حتى لو كان حديثه النقدي يدور عن صديق حميم او رفيق في الجبهة الفكرية . ففكره انتقادي ابدأ . فهو حينما يتحدث عن الرجل سلامة بخسه بالتقدير دون ان يجره ذلك الى المداخلة او الصمت عمن اخطأه . فقد قال مظهر ، يوم كان صاحب مجلة العصور ، في مقالته المعنون (مع سلامة موسى حول الاستنوب العلمي) : جرت « العصور » على طريقة من النقد لم ترض الكثيرين من الكتاب والاستاذة على الاخص . وما بعيننا من شيء ررضوا لم غضبوا . ما بعيننا برضينا ، ونقول : فيما نعتقد ، ولا فرق بين صديق وغير صديق . وتناولت « العصور » ، فيما تناولت ، بالنقد بعض اشياء نشرها سلامة موسى الذي لا يمكن بحال ان نحاول ان نفيطه حقه او ننكر جهوده في سبيل العلم والادب . غير ان هذا لا يصرغنا مطلقا عن ان نقده ، ونقول بان اسلوبه عامي ، والحقيقة انه عامي الاسلوب ، لا تجرى ديباجته على ما تتطلب الاساليب العربية المنتقاة ...

ويتجلى منهج اسماعيل مظهر النقدي الواقعي ، في اجلى صورة ، حين يتصدى لنقد بعض الكتاب الغربيين . فاسماعيل مظهر يدين التوفيق بين التقاليد السلفية وبين الروح العلمية الحديثة . ففي مقالته التي يناقش فيها السير اوليفر لودج ، وهو عالم فيزيائي كبير ، يشجب نزعة

هذا العالم ، التي تفقد تبريرها الموضوعي ، لمحاولة العثور على اساس علمي مادي لنظرية تناسخ الارواح ، ولنظرية حلول الروح في الجسم البشري ، عندما بلغ مرحلة معينة من التطور . وينهل مظهر بسيطا التفرع في مناقشته الهادفة لهذا العالم ، فيقول ، فيما يقول : واني لاعجب كيف ان سير لودج يستطيع ان التدليل علميا على ان الروح سكنت الجسم الحيواني بعد ان بلغ مدجا خاصا من النشوء ، بل كيف يستطيع ان يوفق بين الاسلوب العلمي وبين هذه الاوال الغربية التي يرسلها رسالا في جمل خطابية واييات من الشعر فيها من جمال الاسلوب وحسن السبك بقدر ما فيها من البعد عن العلم الذي يمثل السير لودج في ناحية اخرى من نواحي نبوغه المتضارب الصور ، الكثير الالوان .

هذه هي بعض اصول المنهج النقدي لاسماعيل مظهر عرضنا لها ، ودلنا على بعضها بالأمثلة دون ان ننسى ان اسماعيل كان يمثل طليعة الفكر النقدي السواقي في عشرينات وثلاثينات القرن في مصر ، ودون ان ننسى ان فكره النقدي كان مشوبا ، هو الآخر ، بتطرقات وتناقضات لا بد منها ، فيما يبدو ، في المحاولات الاولى ، وفي خطوات الزيادة في دروب غير مطروقة .

ولعل اكبر اخطائه هي مبالفته في النزعة العلمية ، لدرجة انه وقع في فخ المثالية الذاتية ، والوضعية المنطقية ، دون ان يريد هو ، طبعاً ، ذلك ، ويبقى لمظهر فضل الزيادة في النقد الادبي السواقي ، وماترة نشر الايديولوجية العلمية في ظروف صعبة ، بالغة الدقة .

فصل آخر من رواية الانتظار

٤٤

شعر .. محمد نهي سند

رأيت من يومين في عينيك رغبة كسوم
في أن تغيب في فاش الحقل
حقيق زهرتين
نغمس حبنا اللهوف في مساطق التدى
فاختلجت شواطئ حبيسة الامواج
وارتمشت سفينة في بحرنا المهتاج

...

وكانت المرأة ، تلقى ظلها على حدود الضوء والمغنة ،
تدنو من عيون الحلم ،
تهوى فجأة في نفرة الضوء التحيل .. !!
وكانت الفرشاة ، تففو في جذور الشعر مستكنة ،
تفتح قلبها لوثبة التعانق البطيء ،
ثم ترتمي على ظهر الذبول ... !!
وكانت القنينة

تلفظ عطرها على اريكة القنله الوحشي ،
تدنى فتحة زمومة للشوق والصيف الطويل ... !!
وكانت الضيفاء

فيبحث في الظلمة عن مراشف ،
واحرف تكلمت على جدار الشوق ،
تدنو من مسامع الرياح في مزابض التخيل ... !!

...

ولم اكن مدعيا آتي نبي
ولست لصا ، لست ثائرا ، ولست رافضا ،
ولست حاملا لسيف الفتنة الطويل ...
لكفني رايت في المرأة
وجهي حبيسا بين ظلمة الموت الصقيل
وبين ضوء اللحظة القليل
فانسكب الوجه صريعا بين صرختي وبين حزني الثقيل
رايتني ملتفا بראה التشرذم الليلي ،
اعدو في مدينة الخطاة
رايتني فرشاة
تلتف في اسنانها شعيرة العدل ورأس الثورة النبيل



واقلة حزناه

فتحي سعيد

واحزنناه
لا تكذب
بل قل :
واقلة حزناه
لو كنت حزينا حقا لم يهنا عيشك
معنى قولك واحزنناه
قله حزناك
فقدانك هذا الحزن
فالحزن كساء العاري خرقه موجوعي الاكباد
الحزن عبادة مقروخي الاجساد
محراب العباد
مقصلة البسطاء ومقتلة الشهداء
حلى الايتام وعيد الفقراء
سدره ادباب الله وعرش المكروبين
صومعة الكتامين
الحزن شفاء .
كالشعر .. ملاذ الغرباء ومنفى الشعراء
الحزن غذاء ..
نعيم الحيران اذا اختلط الدرب
الحزن على مائدتك نخب
فاعرف حزناك
تعرف انك :
تحيا ..
منعش القلب

فتحي سعيد
— القاهرة —

تسقطني ابدى المغول في قرارة التفوق الذليل
كان ابي منشطرا عند صياح الديك
تدنو حوافر الثنياء
تخلع عن رأسي غطاءها السميكة
تبحث في منابت الشعر عن الشيء الخبيء
فتلتقي بالخوف والجوع ،
تهيل نحو شاطئ الطفولة الخجولة
كانت تطل من نوافذ البيوت اعين النساء
تحترق الرغبة خلف طين شجوهن
وتفتح القنينة
يسقط عطرها على كتاب صبري المليء
بالحزن والنفى
والانتظار

ان تركب البهجة خيل المعدل ،
ان اسر في مواكب الهناءة
ان تمطر السماء في الصحراء ،
ان تعود للعيون ومضة البراءة
ان استعيد لهفتي للحب والشعر ،
ونزهة المساء في مياه النهر ،
وارتجافة الشفافة
لمس الورود والحياة ..
تظل تلك الفتحة المعونة
تلفظ عطرها ،
فيستفيق كابوس الليالي المرعبة
بنهش في شجيرة الحب المعيلة

● ● ●

اصبح كل ما اود ان اراه ،
لا اراه
وما اريد ان يكون ،
لا يكون ... !!
فهل ترى ينقضي ،
السيف ،
ام الوحدة في برج الافول ؟؟
ام غنوة ،
ترتج في ارغول حلما الطويل !!!

محمد فهمي سند
— القاهرة —

تشخوف

وتطور الأدب الروسي

ترجمة واعداد
توفيق عبد الرحمن

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نخاف الاشباح ، وهذا الذي لا يريد شيئا ولا يأمل في شيء وليس عنده مخاوف لا يمكن ان يكون فنانا .

ولقد كان تشخوف كهنود وكبشيم للقواعد المتعارف عليها في علم الجبال في ذلك الوقت هدفا لهجمات النقاد وحتى سنة ١٩٠٠ كانوا يرون في عمله خروجاً على الواقعية المقدسة ولم يكن هذا هو رأي معارضي تشخوف فقط ، لكنه كان رأي اصدقائه ايضاً ، «فجوركي» الذي لم يعتبر نفسه في ذلك الوقت كاتباً واقعياً ، كتب الى تشخوف يقول :

« اندري ماذا تفعل ؟ انت تقتل الواقعية وتستجهز عليهاً حالا . هذا الشكل قد انتهى عصره .. هذه هي الحقيقة . وانا سعيد بما تفعله ، فلقد جاء زمان اصبح البطولي فيه ضروريا ، كل واحد يحتاج الى شيء مثير للحس ، خاطف للبصر ، شيء ليس مثل الحياة ولكنه احسن واجمل مما تستطيع ان تكونه الحياة ، لقد بات ضروريا ان يزين الادب اليوم الحياة ، وعندما يفعل الادب ذلك تصبح الحياة اجمل وسيحبها الرجال اكثر بهجة ، واكثر الفا » .

غالبا ما يوضع تشخوف بين الواقعيين ، فتجد اسمه الى جانب اسماء « كورلنكو » « مامين سبيريالك » ولكننا نتساءل هل ينبغي ان يوضع اسمه مع مهثلي تيار الواقعية الجديدة مثل « مكسيم جوركي » ام هل ينبغي تشخوف الى الرمزيين ؟ على أي حال فان تجديد انشاء تشخوف الى هذا التيار او ذلك غير ذي اهمية وغالبا ما نعثر في مراسلاته على وجهة نظر تشاؤمية قسبي الادب المعاصر له . كتب الى « سوفرين » في ٢٥ نوفمبر ١٨٩٢ :

« ليس في اعمالنا خمر تسكرنا وتحملنا بعيدا !! ان بين معاصري اعطى العالم قطرة واحدة من الخمر ؟ هل اعطى « كورلنكو » « وناديسون » وكتاب المسرح اليوم العالم غير قطرات الليمونادة ؟ ان زماننا فاسد وممسل ونحن ايضا فاسدون ومهلون فنذكر ان كل الكتاب الكبار الذين اسكرونا بجمعهم صفة اساسية مشتركة ، انهم يؤمنون باتجاه ويدعوننا اليه ونحن لا نمتلك اهدافا قريبة او بعيدة ارواحنا ضعيفة وخاوية . ليس عندنا تيارات سياسية ولا نؤمن بالثورة . ليس لنا اله ولا

والكلمات الأخيرة تتضمن بالتأكيد برنامج «جوركي» الأدبي في ذلك الوقت ، ولكن ليس لهذا البرنامج صلة بالعمل الخلاق لتشيخوف وأنه لمن الصعب أن يتوسع المرء من مؤلف (قصة مملّة)، (في الغسق) ، (العابسون) أن يرسم الحياة أجمل مما هي ، أو أن يقدمها نسي الوان ازهى .

ولقد كان من الصعب في ذلك الوقت على كاتبناجح مثل « جوركي » أن يتصور أن المستقبل سيكون ملكا للمل غير مثله ولكنه على الأقل قد أوضح أن تشيخوف يختلف اختلافا جديدا عن الواقعيين . ولكن كيف هو مختلف . ان جوركي لا يستطيع طرح هذا السؤال وربما لا يستطيع أيضا أن يفهمه .

لقد كان واضحا لتشيخوف انه ليس بقادر او غير مسموح له ان يسلك الطرق التقليدية ولقد كان واضحا «لجوركي» ان تشيخوف بدأ شيئا جديدا وقتل شيئا قديما في الادب الروسي .

ومذ الثمانينات اتضح لتشيخوف انه يشق دروبا جديدة في الادب فليد كتب الى لازايف جورونسكي يقول في ٢٠ أكتوبر ١٨٨٨ :

« كل ما كتبه سينسى خلال خمس او عشر سنوات ولكن الدروب التي ابتعتها ستبقى بهذه هي حسنتي الوحيدة » وما له دالة ان ليون تولستوي قد كتب في يومياته سنة ١٨٨٩ ان قصص تشيخوف توافه . وفي سنة ١٨٩٠

اشاد تولستوي بتشيخوف كموهبة عظيمة واعتبره صنوا لموباسان ونستطيع ان نرى من خلال التعليقات التي عرفت مؤخرا لتولستوي انه كان قادرا على الحكم على تشيخوف بداية بالاحتوى الفكري لاعماله . وفي هذا يقول تولستوي : (ان تشيخوف لا يعرف دائما ماذا يريد ؟ تشيخوف ليس عنده غالبا فكرة او حس بالكلية ولا يستطيع المرء ان يدرك لماذا كتب قصة معينة) .

ولقد رفض تولستوي مسرح تشيخوف « فطاشير النورس » . في رايه كلام فارغ وهو ساخط على «المم فانبا» اساسا لان ابطالها كسالي وبلا خلق ، ويوبنها يمتدح تولستوي الكثير من قصص تشيخوف فأنه يعتبر (الفلاحين) خطيئة ضد البشر .

وناقذ واحد فقط هو الذي اهتم بتشيخوف مبكرا انه ديمتري جريجوروفتش . . لم يمتدحه بعبارة غامضة ، لكنه اوضح ما وجده جديرا بالاهتمام في اعمال تشيخوف ، المهارة في تناول التفاصيل ورسم الشخصيات والمناظر من خلال هذه التفاصيل . ولقد اكد استاذية تشيخوف في الوصف بهذه الكلمات :

« في سطور قليلة تتشكل صورة كاملة امامك مثل

سحابات صغيرة في سماء الغسق المتلاشية ، مثل الرماد على الفحم المنطفئ » .

وفي خطاب الى تشيخوف على هذا الكاتبب على قصص «الإحلام» و «أجانيا» قائلا : (ان الشخصيات في هذه القصص قد بسمت بالكاد ، وبالرغم من ذلك فعلا شيء يمكن اضافته لجعلها أكثر حياة) ، ويمدق نفس القول بالنسبة للمناظر الطبيعية والانطباعات عنها ، انها بالكاد تفس فيتشكل المنظر امام عينيك . هذه الاستاذية في ترجمة الانطباعات لا نلقاها الا عند تورجنيف وتولستوي) .

واستطاع تولستوي ايضا ان يلحظ معنى التفاضل عند تشيخوف في القصص التي تلائم مزاجه فهو يرى ان تشيخوف يلقي بالكلمات ظاهريا دون نظام ولكنه يحقق تأثيرا مذهلا مثل الرسام الانطباعي بضربات فرشاته .

وانطباعية تشيخوف ليست مجرد شكل خارجي ولكنها — كما سنرى — متصلة بالبواعت المبيتة لوجهات نظره تجاه العالم وفي هذا الخصوص ينبغي التأكيد على ان تشيخوف لا يقف بمفرده خارج تقاليد الادب الروسي وربما ينبغي ذكر معاصريه من الشعراء الانطباعيين ولكن بلا ادنى شك فان تولستوي هو الذي ادخل الاسلوب الانطباعي في الادب الروسي .

والملاحح الاساسية للانطباعية يمكن ان تصاغ كإيلي بالنسبة الشكل الخارجي :

١- غموض الصورة الكلية .

٢- وعكس ذلك بروز التفاصيل الجزئيات ، هاتان الميزتان تستجيبان لتكنيك الرسم بضربات منفصلة للفرشاة ويحتوى الاعمال الادبية الانطباعية بعكس هذه السمات .

٣- نكران صياغة الافكار وفوق كل شيء التخلي عن عناصر الفن التعليمي .

٤- وعكس ذلك ايضا خلق مزاج عام . وعلى اي فان ملاحح صغيرة معينة — سطور — خاصة — تتعامل تحدث الى مشاعر القارئ ، هذه هي حوامل الظلال الناعمة والرقيقة ، ولقد استعمل تشيخوف كل هذه الاساليب للانطباعية نسي الادب بوعي واتقار ونريد ان نلفت النظر لاعمال تشيخوف مثل «الاستبس» «قصة مملّة» «، حياتي» ، «ثلاث سنوات» او المسرحيات .

وحتى الان ينظر القارئ الاوروبي الى تشيخوف على انه كاتب فكه وذلك نظرا لقصصه الهزلية — والتي حذفها من الطبعة الاصلية لاعماله الكابلية — وهذه القصص تثير في النفس من الاحساس بالكابة أكثر مما تثير الاحساس بالهزل ، فنحن نرى فيها المستويات الثقافية والاخلاقية الدنيا للطبقات التي تدعي انها عليا

وايضاً المواقف التي لا معنى لها تأتي بلا دافع بالمصادفة ولا تمضي الى نهايتها .

يصف تشيخوف بسهولة ، العشاق الذين بلا سبب يقرررون عدم النوح .. سلسلة من هذه المشاهد تمتد من (فيرونتسكا) الى (بستان الكرز) وقصة مثل (زيارة طبيب) تريانا علاقة انسانية بسيطة مثل الصداقة او الفرقة الطبية او الجوار المسالم غالباً لا تتحقق وبلا سبب واضح كما لو كان هنا اسباب الصدفة العيياء تظلم العلاقات بين الرجال . وغالباً لا يحدد سبب بسيط مصير الحياة الكاملة لرجل . مثل (اور) . . . يرفض الفلاح ان يعطى خبز الفصح لرجل مريض . . . خلال اجازة الفصح (بهذا يبدأ الدمار) يحدد تشيخوف العلاقة بين التوازن الروحي للفلاح وتحطيم منزلته وتدمير حياته كلها .

— وباطال قصص تشيخوف الانطباعية يتأرجحون بين امزجة مخلفة وافكار وقرارات وغالباً ما يحسمون بمشاعر متناقضة في الوقت نفسه دون ان يشعروا بهذا التناقض ويحرص تشيخوف على ان يؤكد حقيقة ان الانفعالات والخبرات في جريان مستمر وفي عملية تغير وفوق كل شيء يحاول ان يسجل ثلاثي الخبرات والاحداث ، اشارة لذلك يمكن ان توجد ، في قصة N.N. (كل شيء بالنسبة لي مثلاً هو لكل شخص اخر بسرعة دون اثر دون ان يقدر وتلاشى مثل الضباب . . . اين هذا كله . . .)

وهذه الفكرة تعمل بقوة في نهاية اخر قصة لتشخوف (المطران) ليس فقط ان كل خبرات المطران قد عبرت واختنت بموته ولكن وجوده الآن يبدو انه كان غير واقعي . عندما تحدث امه عنه لا يصدقها بل واحد . وبهذه الطريقة فان الواقع يتراجع الى الخلف ، والاحداث التي تكون ظاهرياً الاسباب والدوافع لخبرات لها تأثير فقط في الشكل الذي تتحلله عندما يعاد تشكيلها في نفسية الاشخاص .

وعندما يتحول الواقع بهذه الطريقة (وهو لم يكن عند تشيخوف واقعاً موضوعياً يصبح تقديم الحياة الروحية هو المركز واهم اجزاء العمل الادبي) ويحيا حياة الفرد الروحية تعرف القيم المنزلة فقط وتقضي الشطر الاكبر في وهاد الاشياء البهتلة المألوفة فان هذا التقديم يبني ان يضع في اعتباره عديداً من الاماكن الخاوية . هذه الاماكن الخاوية . . هذه اللحظات التي بلا اهمية وحتى هذه الفترات في الحياة الانسانية تحتاج ان تلمس بخفة في النثر الفني ، لا ينبغي باي حال من الاحوال الا تبني غير ملحوظة في الاعمال الدرامية . وبناء مسرحيات تشيخوف مصمم الى حد كبير بهذه

ويوضح خصوصاً بلا دقة وقسوة ولا انسانية الاغنياء المخذمين بالنسبة للفقراء الجائعين ، والرجال الصغار المهاتون مرسومون بطريقة يصعب معها العثور على اي ملمح انساني .

وباختصار فان دنياتشخوف الكاتب الفكاهة دنيا حزينة مظلمة ويصعب على المرء ان يستنتج منها ان كان صغيراً مرحاً تحول فيها بعد الى متشائم حزين ، ان تشاؤم تشيخوف في سنيه الاخيرة اكثر القا وتأكيداً للحياة من هزل سني شبابه .

ان الميل للتسامح والغفران للمخلوقات البشرية عند تشيخوف يمكن ان يشرح جزئياً بهذه الافكار التي جاءت اثناء تطور اسلوبه الانطباعي .

وبمثل تشيخوف الى حد كبير الى الامتناع والامسك عن البواعث الشاملة (وهذه خاصية للواقعيين) لاحاديث وافعال وشخصيات اعماله وكثيراً ما يحدث في قصصه الطويلة « بلا سبب » حيث يمكن لنا ان نرى حدساً للميل الانساني للشعر الرمزي ، اي الميل لشرح الظاهرة من خلال فرصة عيياء ، وربما كان هذا الملمح بالذات هو ما يجذب تشيخوف الى مسرحيات ماترلنك التي تراها للمرة الاولى سنة ١٨٩٦ . وبينما تجري التقاليد الواقعية على ان تبحث وتقدم علاقة وثيقة بين الخبرات والافعال واحداث حياة الانسان فان لدى تشيخوف هوة تفصل بين الاحداث وخبراته الابطال . كما تفصل بين خبراتهم وافعالهم .

وتشيخوف مثل الكتاب الواقعيين يبذل الى ان يقع قريباً من الواقع في التواريخ والخلفيات والتفاصيل الاخرى الواقعية لاعماله ولكن هذه الواقعية تظهر وتؤثر في خبرات الابطال فقط في شكل غير مؤثر ، في شكل محرف غير كاف (ليشرح الدافع) فبعض السبب الخارجي والخبرة الداخلية يوجد تناقض غريب . ان التغيرات الخاصة في الحياة الانسانية والصير الانساني اما ان تكون بلا دافع ، ولما تعتمد على اسباب ضئيلة — اكثر من ذلك ان التغيرات في الحياة لاستجيب للاحداث التي ينبغي واقعياً ان تؤدي الى متواليات مختلفة ، فالضعيف الكسول المنعدم الشخصية « لامسكي » في « الصراع » يستنصر ميلاداً معنوياً في لحظة انهياره العميق بالضغط ، خيانة صديقته تحت اتباع الظروف لا تؤدي الى قسم العلاقة بها لكنها على عكس المتوقع تنوي من علاقتها .

هذا الميلاد الجديد (التغير في لامسكي) هو نصره على «فون كورين» تابع « داروين » وهو ، اي فون كورين شخصية قوية مقتنع بافكاره ومثله الاخلاقية وعملية تحول « لامسكي » لا نراها عن قصد ، وكل حياة بطل (حياتي) تعتبر كسلسلة لتغيرات غريبة بلا دافع

فهنا نجد في سطور قليلة الصفات الاساسية لاسلوب تشيخوف : الماضي العابر من الواقعية والخبرات غير المتوقعة .. والتي بلا دافع والمتناقضة ..

« ويكت .. بدا لها في كل مكان .. ان سعادته تلعب في تدفق سريع تحل الواحدة محل الاخرى .. الاختفاء المفاجيء للواقع الذي يؤدي الى مشاعر مغنية وايضا فجأة تتلاشى هذه المشاعر .

هذه الصفات الاساسية لاسلوب تشيخوف ليست فقط عناصر لانتطاعيته فالاهتمام بالتفاصيل الذي بدأ لمعاصريه غير ضروري ومجرد لغو ينتهي الى طريقة المؤلف في التقديم .. كما ينتهي ايضا الى اسلوب الإبطال في اكتشاف الواقع واتخاذ موقف منه فالواقع والاشخاص يمكن فهمها او تمييزها من خلال صفات جزائية وغير اساسية ظاهريا .

فالاشخاص يميزون برائحتهم « رائحة البن » « رائحة اللحم النئ » او يميزون بطريقتهم في الحديث أكثر منكما يميزون بمحتوى ما يقولون مثل « تشييونكين » في « الشقيقات الثلاث » . وتقدم الطبيعة من خلال بقع لونية منفصلة مثلما يحدث في « الاستبس » وهي رواية قصيرة اعتبرها النقاد بحق ابتكارا ومن خلال صور غير محددة تماما .»

لقد أتى عمل تشيخوف مباشرة قبل ظهور الرمزيين ، هذه الحجة حقيقة تاريخية فان الانتطاعية قد مهدت الطريق لشمسية ولا ينبغي للمرء ان ينسى هذه الحقيقة عندما يصرح - لأول عن مكان تشيخوف في تطور الادب الروسي - وفي النهاية ينبغي التأكيد على ان تشيخوف جاء جادا ومخلصا حتى في هزلياته ونفسه اعلم ان التشيخوفية الماهرة ارتكز على مفهوم محدد للعالم : الإنسان وهو مفهوم ينسحق الاهتمام .

وينبغي محاولة تشيخوف تقديم اجابات على اسئلة قديمة وضعها كبار الكتاب الروس ومن الامور ذات الاهمية الخاصة ، مثل قصته « صراع » التي تعتبر اجابة على رواية تولستوي « انا كارنيينا » .

توفيق عبد الرحمن

— القاهرة —



الطريقة .. فحين تمم الخبرات الروحية ونقاط التحول في الخطة المسرحية تتحم عناصر للملء .. هذا الملء يتكون من حوادث فكها مثل هذه التي تحدث مع « ابيكوف » و « سيبونوف » في « بستان الكرز » والمحادثات اليومية التي لا تقول شيئا مثل هذه التي توجد في اجزاء كثيرة في الفصل الثاني من نفس المسرحية وايضا « لحظات الصمت » .

وفي القصص يستطيع المؤلف ان يضع بحرية أكثر هذه اللحظات الفارغة وهكذا فوصف الطبيعة والملاحظات النظرية للمؤلف تظهر هنا لملء الفواصل ذلك هو اصل البناء الانتطاعي الذي يرسم السمات المميزة للشخصيات وصور الاحداث بواسطة ضربات منفصلة ويقع في اللون .

وليس من قبيل المصادفة ان اغلب شخصيات قصص تشيخوف تكون دائما ضيوفا في مكان الحدث ، وغالبا ما يأتون بالمصادفة والاشخاص الذين يفترض ان يرى القارئ من خلال عيونهم الاحداث هم اطباء يزورون مرضاهم .. قضاء تحقيق .. ضيوف .. اشخاص عابرون .. او اذا كان ينبغي ان يجسد الإبطال انفسهم في بيوتهم فان الاشخاص الآخرين في الحدث هم ضيوف يظهرون لأول مرة في حياة الإبطال . يرى المرء العالم الى درجة محدودة من خلال قطار السكة الحديدية وبشكل عام تلعب السكة الحديدية دورا كبيرا غير عادي في اعمال تشيخوف كما ان ابطال غندة يقطنون عندهم محطات السكة الحديدية او بجوار محطات السكة الحديدية .. امامهم ينتقل البشر بسرعة مثل النجوم الساقطة في السماء .. هذا النوع من المواقف هو من اختيار انتطاعي مراقب للحياة ، وفي هذا الخصوص نجد ان قصة (في العربة) أكثر قصصه دلالة . مدرسة تسافر الى تربتها في عربة فلاح بالسة على طريق نمس :

« انزلت البوابة على جسر السكة الحديدية وغادر قطار الاكسبرس المحطة .. هناك كان القطار .. النواذب تلعب بالضوء الباهر لدرجة تؤذي النظر .. وامام صالون عربة درجة اولى وقفت سيدة » .

وبدا للبدرة ان هذه السيدة تشبه امها .. وتخللت في وضع مذل .. حياتها في موسكو منذ ثلاث عشرة سنة .. وعندما كانت امها ما تزال حية .

ويكت لا تعرف لماذا .. وبدا لها انه في كل مكان في النواذب في الاشجار تلعب سعادتها .. وانتصارها ... والدها ووالدتها لم يموتا أبدا .. وهي لم تكن ابدا مدرسة . كان هذا حلما طويلا مرهقا غريبا استيعقلت منه .. وفجأة اختفى كل شيء » .

حوار مع الشاعر المسرحي



أجرى الحوار: حسان الكاتب

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

٦- عيبر من دمشق : ديوان — من منشورات عويدات
في بيروت عام ١٩٧٠ .

٧- الحلاج : مسرحية شعرية من منشورات عويدات في
بيروت ١٩٧١ .

٨- رابعة العدوية : مسرحية شعرية من منشورات
عويدات في بيروت ١٩٧٢ .

نالت في انبوع الكتاب الصوفي العالمي عام ١٩٧٢
من اللجنة الاستشارية العالمية ومن اليونسكو الجائزة
العالمية الثالثة ومنح الشاعر لقب برونسور .

٩- مصرع غرناطة : مسرحية شعرية من منشورات
عويدات في بيروت ١٩٧٣ ترجم فصولا منها الى الاسبانية
المستشرق البرونسور جوان فيرنر جونس .

١٠- فلسطين الثائرة : مسرحية شعرية من منشورات
عويدات في بيروت ١٩٧٤

١١- فاجعة مايرلنغ : مسرحية شعرية من منشورات
عويدات في بيروت عام ١٩٧٥ وقد دفع الى الطبع اخيرا

ولد في دمشق عام ١٩١٧ ونشأ وترعرع في بيت والده
الشاعر الكبير الراحل الاستاذ خليل مردم بك وتابع
دراسته فتخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٠ ثم مارس
المحاماة وشغل مناصب عديدة في القضاء ثم طلب احالته
على المعاش كي يتفرغ لممارسة هوايته الفكرية والشعرية
وانتج في هذا الميدان مجموعة قيمة من الدواوين الشعرية
هي كما يلي :

١- نجوى : ديوان شعر — صدر عن دار المعارف في
القاهرة عام ١٩٥٦ .

٢- صفحة نكرى : ديوان شعر — صدر ايضا عن دار
المعارف في القاهرة عام ١٩٦١ .

٣- غادة اقاميا : دراما شعرية — من منشورات
عويدات في بيروت عام ١٩٦٧ .

٤- العباسية : مسرحية شعرية من منشورات عويدات
في بيروت عام ١٩٦٨ .

٥- الملكة زنوبيا : مسرحية شعرية من منشورات
عويدات في بيروت عام ١٩٦٩ .

مشرقية بعنوان «البأساء دويجن» .

● س - ما هو انطباعتك تجاه الشعر العربي في العصر الجاهلي ؟

★ ج - الشعر الجاهلي ، صورة صادقة للبيئة التي عاشها الشاعر الجاهلي ، ولجنته الفكرية والاجتماعية . وسجل تاريخي أمين في أكثر ما سطر من أحداث اجتماعية كوقعة ذي قار وحرب داحس والغبراء و... من الأحداث . وفيه تصوير صادق للحياة الاجتماعية الجاهلية وللطبيعة الصحراوية .

فالشعراء الجاهليون هم المؤرخون الحقيقيون لتلك الحقبة من الزمن الغابر . وبمثل الشعر الجاهلي مجموعته الملحة القومية والاجتماعية للمجتمع الجاهلي ، في تفكيره وأحاسيسه ومشاعره ، و لا بد للأديب المعاصر من الاطلاع على الشعر الجاهلي لينهم الأدب العربي الإسلامي في شتى عصوره المنصورة باعتبار أن الشعر الجاهلي الجذور الحية للذوغة الشعرية الإسلامية الباسقة .

● س - ما هي المواضيع الحساسة في الشعر العربي الإسلامي في نظرك ؟

★ ج - الشعر العربي الجاهلي ، كان وما زال القاعدة الأساسية للصرح الشعري الإسلامي الشامخ والمصورة الأولى التي ابتدعها الشعراء الجاهليون سواء في الشكل أو في المضمون ، لا ينكر أن الشعر الإسلامي أي بشايع جديدة تكثر الدعوة للدين الإسلامي الحنيف ، وتتمسح النقائش ما بين الفرزدق وجبرير والخطول والإعراق ، وصف الخيرة ، والغزل المذكر ، وشعر الزهد ، والطرديات والحكمة .

إن هذه الموضوعات التي طرقها الشعراء الإسلاميون سبق أن عولج أكثرها من قبل الشاعر الجاهلي ، ولكن الشاعر الإسلامي أتى بالغريب المبدع وسما على الشاعر الجاهلي ، وأخص بالذكر شعراء العصر العباسي في الدور الأول والثاني أمثال بشار بن برد وأبي نواس وصريع الغواني وأبي العتاهية وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي والمعري ، وبمثل أمثال أولئك الشعراء الإسلاميين كان الفارق كبيراً ما بينهم وبين الجاهليين إذ بات الفارق واضحاً في دقة الوصف وحسن الصرف وبراعة المعالجة ، فالنواصي في خبرياته وطردياته لم يترك لغبره شيئاً ، وأبو تمام والبحتري بلغوا الذروة في التجويد والتعذيب مع البراعة في كل ما تناولوه من الأغراض ، أما ابن الرومي فقد كان الشاعر الوصاف المجدد والهجا الحاذق ، أما المتنبي فهو شاعر الملاحم والحكمة ، غير أن المعري الذي أخضع الشعر إلى العقل .

ومع هذا الشيء الجديد فإن القالب الجاهلي كان

القالب نفسه الذي ارتضاه الشاعر الإسلامي عن رضا لنفسه .

● س - هل لك أن تحدثنا عن الشعر الاندلسي ، وما هي مكان المروعة في هذا الشعر ؟

★ ج - الشعر الاندلسي هو في الواقع امتداد لانفاق ذوغة الشعر الإسلامي في المشرق ، وقد اتخذ الشعراء الاندلسيون آخاؤهم المشرقيين أساندة لهم يحذون حذوهم ويتقنونهم في أسلوبهم . وأن فحول شعراء الاندلس أمثال ابن هانيء الاندلسي وابن دراج وابن زيدون وابن عبد ربه ، فإن كلا من هؤلاء كان يقتل واحداً من المشرقيين . فابن هانيء كان يقتل المتنبي ، وابن دراج كان يقتل أبا نواس ، وابن زيدون كان يقتل البحتري ويعارضه وكذلك كان يفعل ابن عبد ربه .

فالشعر الاندلسي بمجموعه نسخة ثابتة عن الصورة المشرقية الأولى .

نعم ، كثر شعر وصف الطبيعة لدى أكثر الشعراء الاندلسيين وأتوا بأشياء جميلة ، وأخترت الموشحات ، والموشحات صورة جديدة للقصيد العربية مع تغيير في الروي والتزام بيتين من الشعر تبدأ بها القصيدة ويختم كل مقطع من القصيدة بها ، غير أن أوزان الموشح هي نفس أوزان الخليل .

فالشعر الاندلسي لم يأت بأشياء جديرة ولم يطلع علينا بجديد إذ أن بطلته لا تعدو عن عذوبة في اللفظ وحسن صرف ، وبمثل شعراء المشرق أرسخ قديماً وأبعد أثراً .

● س - ما هي أوجه التشبه بين الشعر الاندلسي وبين الشعر المهجري المعاصر في نظرك ؟

★ ج - كما كان شأن شعراء الاندلس الأكثر من وصف الطبيعة وكثرة الخنين والبكاء على الممالك في البلاد الاندلسية أثر ضياعها منهم ، فإن المهجريين عتوا غسى الوصف ، وكثر الخنين في شعرهم إلى وطنهم الأم ، وقام بعضهم بنظم المولات كالشاعر أبي ماضي في طولنته : الأشباع الثلاثة ، والشاعر فوزي الملووف في مطلونه على بساط الريح أو الشاعر شفيق معوف في مطلونه عبقر ، والشاعر إلياس فرحات في مطلونه كلب الراعي ، وهذه المولات أشبه بالموشح الاندلسي .

لتغيير الروي في كل مقطع من القصيدة وللتزام الشاعر لازمة شعرية تتكون أحياناً من بيتين وهذه اللازمة يحافظ عليها الشاعر في آخر كل مقطع ، وكما كان الشاعر الاندلسي كثير الارتباط بارضه الاندلس ، فإن الشاعر المهجري كان كثير الارتباط ببلده الأم أكثر من البلد الذي هاجر إليه ، فهو يتبع أحوال اهله والحوادث التي تجري في الوطن العربي ويتفعل معها ، مما جعل الشعر القومي

عند أكثر الشعراء المهجريين شعرا مرموقا وقد كثر شعر الحنين عند أكثرهم مما دعا كثيرا منهم أن يعود ثانية إلى أهله ليوارى في ثرى وطنه شأن الشاعر شكر الله الجرجيري وغيره ممن عاد وبقي في الوطن الأم .

● س - هل لك أن تحدثنا عن مميزاتك بالنسبة للمسرح الشعري ، ومتى توجهت إلى هذا النوع من الشعر وهل ترى أن المسرح الشعري يؤدي أغراضه الإنسانية أكثر من الشعر العادي أو القصص ؟

★ ج - سبق أن ذكرت في مقدمة مسرحيتي الشعرية عادة إماميا ، باني حينما عالجت نظم المسرحية الشعرية عام ١٩٣٥ لم أكن أتجاوز السادسة عشرة من عمري ، وإن أول مسرحية نظميتها كانت مسرحية فتح عبورية ، وقد نشرت فصولا منها في مجلة الشام لصاحبها الأستاذ خليل المحصل ، وفي سن السابعة عشرة نظمت مسرحيتي عبد الرحمن الداخل وممرع الحسين ونشرت متفصلا من المسرحيتين في مجلة العرفان التي تصدر في صيدا نساخها الأستاذ المرحوم عارف الزين ، وقد تناقلت بعض الصحف في الوطن العربي بعض هذه الفصول أعجابا وتقديرا .

اني عانيت نظم المسرحية الشعرية كما أشرت انفا منذ نعومة أظفاري أي إلى قبل أربعين عاما ، وأعتقد أن المسرحية الشعرية تؤدي أغراضها الإنسانية أكثر من الشعر العادي وأكثر من القصص في شتى العصور كما تنطوي عليه المسرحية ذاتها من سحر وبراعة وسمو . فمسرحيات سوفوكليس وأسخيلوس وأوربويند وأريستوفان هي أقوى أثرا من كل أثر أدبي في العصور القديمة إذ أدت أغراضها الإنسانية بنجاح لم يتأتى للشعر العادي كما أن مسرحيات شكسبير الشعرية أدت بتفوق باهر كل ما عالجت من أهداف إنسانية وأخلاقية وعاطفية ، أكثر من الشعر العادي والقصص نفسها حتى اليوم وكذلك فإن مسرحيات كورناني ورأسين موليير في غرانسة لها الأثر الكبير نفسه الذي هو لمسرحيات شكسبير .

وقد أدرك الفيلسوف اليوناني أرسطو الروعة في البناء المسرحي الشعري الشامخ مما جعله أن يحلها في الذروة ، فقد فضلها على الموسيقى والرسم والشعر العادي .

● س - هل عالجت في مسرحياتك بعضا من الأحداث والقضايا العربية والإسلامية الكبرى ؟

★ ج - اني في أكثر مسرحياتي الشعرية أنيت على معالجة أحداث عربية كبيرة وعلى قضايا إسلامية كبرى ، إذ اني في مسرحيتي المبادة وصفت الصراع العربي الفارسي وكيف كان يكيد الفرس للعرب لاعادة عرش كسرى ، وكيف تنبه العرب لهذا الخطر وما قامت به زبيدة

زوج الخليفة الرشيد مع الوزير السهل بن الربيع من سعى بشكور لدفع هذا الخطر ، كما اني في مسرحيتي مصرع غرناطة أنيت على وصف الصراع الدامي بين القوط والمسلمين وأصفا النفخ الاجتماعي للحياة الإسلامية وما قام به اليهود من زرع الفساد والفسق والفوضى في المجتمع الإسلامي لتقويض ملك العرب وقد أقرني على هذا الشيء المستشرق البروفسور جوان جونسون وقام بترجمة المسرحية إلى اللغة الأسبانية .

هذا واني في مسرحية فلسطين النائرة ، أنيت على بيان صفحة مشرقة من جهاد شعب فلسطين في العصر الحاضر ، إذ ذكرت بها نضال شعب فلسطين في القدس ووصفت بأساة القسطل التي استشهد فيها القائد عبد القادر الحسيني .

واني لم اقتصر على معالجة القضايا الإسلامية الكبرى بل تعديتها إلى الأحداث العربية التي وقعت قبل الإسلام ففي مسرحيتي الملكة زنوبيا أشدت بالعقوبة العربية المتجلية بالملكة زنوبيا التي شيدت ملكا متراعى الأطراف وحاولت إقامة جبهة شرقية أمام سيل الغرب الجارف ، وقد غاوضت بالفعل كسرى لتشكيل جبهة شرقية ضد روما ولكنه لم يستجب لدعوتها .

فترى اني لم أغفل عن معالجة القضايا الكبرى سواء أكانت عربية أم إسلامية .

حسان بدر الدين الأتاني
— دمشق —

أفضل
وسيلة

● دار الحديث التالي بين مدير أحد المسارح وصديقه :

— غدا موعد بدء عرض روايتي الجديدة ، انها باكورة انتاجي ، ماذا تعتقد ينبغي أن افعل لاجتذاب أكبر عدد من المتفرجين ؟

— اجعل الدخول .. مجانا !

عكس الليل



(اصيب الشاعر بمرض في المعدة الزمه الفراش اربع سنوات متواليات وحرمة النوم في اغلب الليالي ، فكان يقطع سكون الليل احبانا بالملل صوت المذياع وهو على سريره في غرفته الخاصة . ونعجب مرة بعد بنصف احدى الليالي - وهو ينتقل بين محطات الإذاعة - بصوت داعم عذب ينشد بعض قصائد ديوانه الاول (كاسي الصدود) بمصاحبة الحان موسيقية هادئة رائعة ضمن برنامج اطلق عليه (همس الليل) ، فآوى ذلك اليه بالقصيدة الآتية التي شرع بكتابتها بعد انتهاء البرنامج)
علي الشويكي

يرسل الشَّدَو موشَى بجميل النبرات
يهلك الأسراع .. يستهوي القلوب القاسيات
وبنير الدرب للساوي بوادي الظلمات
وانا - يا صاح - ذو قلب ضعيف النبرات
فترق يا سمر الليل .. يا حلو السمات

إيه « همس الليل » هيجت بقلبي الحشرات
وصرفت النوم عن جفني من غير ترات
اين خلاني وأحبابي واصحابي الثقبات
اين من كنت اناجيهم بأحلى الهنسات
حين كان الدهر دهري والليالي اغنياتني ؟
اين من كانوا لي السلوان عند الأزمات ؟
ككم البئس فصرنا من أحاديث الرواة
إنها الاقدار تلهو .. بين خذ هذا .. وهات
فسلام من مشوق لمهود ماضيات ..

علي الشويكي

- بغداد -



لغة العشاق في الليل عجاب في اللغات
إنها همس لابد كحفيف السمات
ينغش الأرواح .. يسقيها رحيق الصبوات
ويثير الوجد في الإعماق .. يذكي اللهفات
فترى النشوة تبدو في العيون الحالمات

إيه « همس الليل » يا نحوى النفوس الهائمات
يا تسابيح قلوب بفرام مترعات
خشعت في هيكل الحب خشوع الرهايات
تذكر الأمس فتغنى في عيبر الذكريات
ثم تصحو تتغنى باناشيد الحياة ...
واذا الاحباب في شغل - عن الماضي - بات
كلهم ييني قصورا من عزيز الأميات

يا سمر الليل ، يا موجي الهوى ، ألهمت ذاتي
كروان أنت في جوف الليالي الصافيات ؟
أم هزار ساحر الألحان عذب النغمات ؟
صوتك الداعي - لو تدري - ترانيل صلاة

قصة



مقرر الى الموظفين خلف المكاتب ...
الى عيونهم .. لم يجد فيها ما يوحي
بان الامر غير عادي .
.. غصرخ ذهنه :

هذا غير معقول — انها مسألة
تحرير العقل — اصحيح يطلبون مني
وانا اقف امامهم واكلمهم بلساني ان
اثبت لهم اني على قيد الحياة ؟ اني
لم امت .

صفحه احد الموظفين بهذه الحقيقة
بعد ان نفث فيه عمودا من الدخان
اخذ يتلوى في فراغ الحجرة واهتم
بفتاة جميلة ظهرت عند الباب ، لمس
الرجل لحيته باصابع يده الطويلة

حكاية عميان

بقلم : طه حواس

انحذيفة وتنهيت شفها :
— غريبة .. هل انا ميت ؟
وهز راسه دهشا ..
ولماذا اسأل نفس هذا السؤال ؟
اني انزل اقدامي .. واخطو ..
واستطيع ان اجري ..
انقبضت اصابع يده على مقبض
العصا التي يستند عليها فاهتز يده
.. نظر الى الناس في الشارع بعينين
دامعتين خلف نظارة سميكة سوداء
وقال :

— سيقولون علي مجنون — ولكن
اي انسان يسمع مثل هذا الكلام
الذي سمعته ولا يجن — لقد كان
الموظف يكلني بساطة وبطريقة عادية
.. قبل اكتشاف هؤلاء الموظفين موتا
لا يدركه الانسان ؟ هل هذا معقول ؟
يخيل لي ان ملامحه كانت تدل على
انه جاد في كلامه .

وكأنه يطلب مني ان احضر له
شهادة بحسن السير والسلوك او
مستخرجا رسميا . واعاد الجلطة
الاعيرة ومرت بذهنه صورة الفتاة
التي تركها مع الموظف .

— ان فيها بعض ملامحها لعلها
هي .. لا .. لا هذا تخريف ،
غير معقول لعلها ابنتها ، هز راسه
وحرك شفتيه :

— يا خسارة .. كانت ايام .

دخلت عليه حجرة مكتبه بعد ان
نقرت على الباب نقرات خفيفة ، اخذ
يرفع وجهه خلف الجريدة التي كان
يتمسحها بي بطء ، ويسأل نفسه في
تبرم وضيق عين يكون صاحب هذه
الطراقات التي قلمت عليه تفكيره ،
لقد سرح ذهنه مع البرنامج السذي
تخيل ان يراه الليلة في ملهى شهزاد ،
تخيل الظروف والكلمات التي سيقولها
للراقصة الجديدة ، ولكنه مع ذلك
رفع صوته :
— ادخل .

كان ينظر نحو الباب ، زالت
التقطيبات من وجهه ، انبسطت
اساريه ، اخذ يريح الجريدة فسي
بطء فوق المكتب ، اخرجته ابتسامتها
عن كل ما يحيط به ويدور في راسه ،
وفي لحظة اصبحت دنياه جنينين
يتحركان يكتشفان عن عينييين
سوداوين يرتجف قلبه بحركات
اهدابهما وابتسامه غبية عليها ظل
حياء وخجل يذيب ما تشعه عيناها
من دفء ، خرج من خلف المكتب ،
وتقدم نحوها ، تحركت شفها :
— حضرك الاستاذ عمران :

ابطلع لعبابه ..

— نعم يا افندم ، تحت امرك .
فتحت الفتاة حقيبة يدها ، اخرجت
منها بطاقة صغيرة ، تقدمتها اليه مد
يده اليها وهو ينظر الى اناملها
الديقة المتوردة ، وقبل ان يقرأ
البطاقة اشار في لهفة الى المقعد
اللاصق للمكتب .

— تقضي .

نظر اليها من الخلف وهي تخطو
في بطء نحو المقعد ، جلست نظرا الى
بظرف ثوبها القصير الضيق ، واخيرا
بعد ان عجز الثوب سترتها بحقيبة
يدها ، قرأ الاستاذ عمران البطاقة .
وضمها امامه على المكتب امتدت يده
وضغط على زر الجرس وهو يتخلل
النظرات الى ما بين يديه . اقبل
الساعي وقف بالباب ، نظر الاستاذ
الى الفتاة ..

— انشربين شيئا ؟

— لا ايدا . اشكرك .

— لا بد .. لا بد ان تشربي شيئا
وترددت الفتاة ، فرغ صوته :

— كوكاكولا يا عبده .. زجاجتين
حالا ..

واختفى الساعي بعد ان افلسق
الباب . التفت عمران الى الفتاة ،
سأها :

— هل الاستاذ بدوي قريبك . يا
انسة سميحة ؟

— من بلدنا .

— لا اطمئن ان شاء الله وظيفتك
مشمونة . بمجرد ان تستكمل اوراقك
اعتبرى نفسك موظفة في الشركة .
احذر وجه الفتاة وظهر عليها
الارتباك . ارادت ان تشكره فتلطم
لسانها .. فاضاف الاستاذ عمران :
— وارجو ان تعتبريني هنا مثل
اخ اكبر .

اقبل النادل يحمل صينية صفراء
فوقها فنجان القهوة ، وضعها فوق
الترابيزة ، رفع صوته كأنها يوقظ
الرجل الذي امامه .

— القهوة يا استاذ عمران ..

— نظر الاستاذ عمران الى النادل
والى فنجان القهوة .. بدت على
وجهه ملامح من يفيق من شروود ..
نظر النادل الى صلعته والى شريط
الشعر الابيض الذي يحيطها كالسوار
والى عينية الضيقتين الداليتين ...
وصاح :

— امرك يا صاحب الامر .

قالها النادل وهو يهرول مليداء
الزيان ، امتدت يد الاستاذ عمران
في بطء الى فنجان القهوة ، قبض
عليه باصابعه الطويلة المعروقة ،
اهتزت يده وهي ترفع الفنجان الى
شفته ، مر به النادل ، نظر اليه
مليا كأنها يعد تجميدات وجهه ، اقترب
منه وحياء ..

— خطوة عزيزة يا استاذ عمران .
اجابه عمران بكلمات ضاعست
حروغا بين انفاسه الالفة ولسانه
البطيء ..
الدنيا تلاهي .

وارتفعت من الجانب المقابل
ضحكات وقهقهات تطلقها حناجر
فتية .

هز عمران راسه اسى واسفا .
لمحت عيناه الكليلتان طيف امرأة .
رفعت يده اليمنى فوق راسها كمن
يلقي التحية وهي تصلح ملاعنا فوق
راسها شم في مشيتها المتنتية دموعا .

مط شغفيه مستنكرا عندها تعشرت
نظراته بنشاب يترك مقعده من المقهى
ويتبعها ، انطوى على نفسه . تنهد
تهبدة حارة طويلة كأنه يسحبها من
اغوار ماض بعيد .

في حجرة صغيرة يملؤها ضباب
احمر ، كل شيء صامت . صوتك
من بعيد يصل كالطنين . وشبحان
في الحجرة يلفهما الضباب . البواب
نائموالديك المسعور صوته يلف المكان
يأتي اليهما من عالم مجهول .
ويرتفع صوت في المقهى .

— يا اخي لماذا لا يتزوج ؟
— هذا النوع لا يصلح للزواج .
وارتفع صوت عمران بنادي النادل
نظر اليه في تجوس . واقترب منه
في بلاء . وقف على بعد خطوة منه .
ثم سألته :

— طليانك يا استاذ ؟
— سأل عمران :
— هل حضر الاستاذ ابراهيم
المليجي اليوم يا عبده ؟
نظر النادل اليه . بدت على وجهه
ملاحح الاستنكارالمزوجة بالاستغراب
والدهشة .

— الم يخبرك احد ؟
— بماذا ؟
— الم تعلم انه مات ؟
— مات ؟ متى مات ؟
— من سنة تقريبا .

احس عمران كان ضلوعه تضيق
حول قلبه . والعرق يبيل جسمه .
الهواء البارد يلفح وجهه . اغتصب
بعض الكلمات وهو يخرج المندلين
جيبه يجفف قطرات العرق التي
اجتمعت على جبينه .

— لا حول ولا قوة الا بالله .

نظر النادل اليه وقال يخفف عنه :

— لا تحزن يا استاذ عمران ، فكل
اجل كتاب .

والثقت نظرانه بنظرات النادل
لحلات ثم نظر الى الارض بين
قدميه ، تذكركلمات كان يقولها المليجي

له دائما :

— الم يحن الوقت لكي تتزوج يا
عمران ؟

هز عمران راسه وابتمس فسي
سخرية وتمتم :

— زواج .. اولاد .. وماذا بعد

الزواج والاولاد ؟

ماذا سيعمل اولاده الان ؟ .

وزوجته ؟ اه . انها تستطيع ان

تصرف معاش زوجها بسهولة ؛ بدون

ان تقدم لها شهادة بانها على قيد

الحياة ستصرف منه على الاولاد .

على نفسها . لقد حذرني ابي كثيرا

— عليه رحمة الله — من النساء

جميعهن . كان يقول لي ، حتى امك

يا عمران بمجرد ان اموت ستتزوج

اول رجل يتقدم اليها ، هذه هي طبيعة

النساء . خلقن هكذا كهن من

طينة واحدة . من ضلع اعوج . ربما

لو ذهبت الى زوجة المليجي ،

تساعدني في مسألة صرف المعاش .

ان هذه اهم ميزة عند المرأة . خصوصا

اذا كانت مثل سميرة هائم . انا لا

استطيع ان اتخيل كيف تبدو الان .

ولم يسمع كلام المليجي وتزوجت

لكانت هي زوجتي قبل ان تكون

زوجتك . وتطفو بذهنه صورة قبر

مفتوح بداخله رجل يمد ذراعين

طويلتين عاريتين ، يجذبان جسماحمله

اربعة رجال . الجسم ملفوفباعقشة

ببضاء . كان ينظر الى الجسم وهو

يغيب داخل القبر . خيل اليه ان تراب

ارض المقابر التي يقف عليها يزحف

على ساقيه ويلف جسمه .

اقترب منه المعلم حسين الجزار .

امسكه من ذراعه في رفق همس في

اذنه :

— لا تنظر اليه ، لا تنظر الى

القبر .

اغض عمران عينيه الذابلتين .

هز راسه يبعثر الصور التي ترد

الى ذهنه ولكن سرعان ما تطفو

فوقه اشكات الصور السابقة ؟

صورة المعلم حسين الجزار داخل

الاطار المذهب الذي كان يحيط

صورة والده . الصورة في حجرة

النوم بجوار السرير . على هذا

انفراش كثيرا ما كان يحضن والده

يتشبث به ، ويعبث باصابعه فسي

شعر صدره .

ارتفع صوت النادل بجوار

الترابيزة المقابلة لبلي نداءات رواد

المقهى .

نظر عمران الى ترابيزة بجوان

الباب . وفجأة تذكر زميلا اخر

كثيرا ما قطعوا الليل معا في هذا المكان

يلعبان النرد او الشطرنج . ويديران

السهرات من كل لون . انه صديق

العمر الطويل الاستاذ رمزي . ورفع

صوته بكل ما تبقى لديه من قوة .

واشار الى النادل ان يدنو منه .

واقترب منه النادل :

— طليانك يا استاذ عمران ؟

— فائا عمران بالسؤال ، كأنه

غريق خيل اليه ان في يده حبال .

— الاستاذ رمزي — هل رايته

اليوم ؟

رفع النادل يده الى جبينه ..

ضغط عليها باصابعه .

— الاستاذ رمزي ؟ الاستاذ رمزي

.. رمزي مين يا استاذ ؟

لوح اليه عمران بيده التي بدت

كالعصا .

— رمزي ابو الجد .

— رمزي ابو الجد ؟ ابو الجد؟

وفجأة مال بجسمه الى الخلف .

وضرب جبينه بيده . رفع صوته :

— ياه يا استاذ هذه الجماعة

اخفتت من زمان . والله كانت ايامهم

حلو ، لكن على كل حال انا اعرف

ان الاستاذ رمزي في المستشفى من

مدة طويلة .

— في المستشفى ؟

— ايوه بيمعمل عملية .

— في اي مستشفى ؟

— والله ما اعرف .. المهم انه في

المستشفى من مدة طويلة .

— لا حول ولا قوة الا بالله . ياترى

ماذا اصابك يا اخ رمزي ؟
سومن يا ترى سيوقع لي على الشهادة ؟
شهادة اني على قيد الحياة ؟

ادخل يده بين ثيابه . اخرج حافظة النقود . اخذ منه قرشاً . تحسسه باصابعه قبل ان تمتد به يده الى النادل تحايل على عصاه . سار بخطوات ثقيلة كأنه يرسف في قيود المسنين التي مرت . الشارع حوله يموج بالحركة والضوضاء . سيارات في عجلة ولهفة كأنها هاربة من زلزال الرجال والنساء يتخطون به . الاطفال يندفعون من خلفه . عصاه لا تستقر في مكان يريده . تدفعه اقدام المارة واكتاف الاطفال .

تجه . ترك الشارع وسار بجوار الحائط . اقبلت حرارة الشبراري . سبقت العصا قدميه الى داخلها . الحارة ضيقة . كان يخطو بين صفين من البيوت . تتعثر عصاه واقدامه في الطريق . في نهاية الحارة مصباح زجاجته مكسورة . الباتي منها تزينة طبقة من الغبار . صاحب البيت الذي بجواره يجدد البيت لكي لا يسقط . ان احدا من سكان الحارة لا يعرف بالضبط متى بنيت هذه المنازل . صوت سحلية تزحف على ورقة اسفل الفانوس . طنين صرصار يصل الى اذنيه لا يعرف مصدره ، يده تهتز بالعصا وهي تعثر في العصى المتناثر في الطريق . عبده البقائل مازال فاتحاً . امام البقالة شريط ضيق من الضوء . تحت اللبسة الصغيرة الدلاة من سقف الحجرة يجلس عبده البقال على صندوق من الخشب بين القنطرة والنوم . سمل عمران . تشابح البقال . مط جسيه ظهر عمران في شريط الضوء . مد البقال يده الى رف على يمينه واخرج زجاجة بلنفا غلاف مسن الورق . تناولها عمران بيد مرتعشة . وضعها في جيب الجاكتة المتهدل . التفت يميناً ويساراً ثم هز راسه للبقال ،

شكره بلهجة سريعة وبصوت خافت شيعه البقال بنظرة عطف وثناء بعد ان اخذ منه ثمن الزجاجة . اقترب عمران من باب المنزل الذي يقطن فيه . اصاب التعب ساقيه التحيلتين . الدور الثالث مازال بعيداً . فكر في صاحب البيت فقد رفض اعطائه الحجرة التي خلست في الدور الاول . يريد فيها الجشع خمسين جنبها خلو رجل . وقف امامها لحظات ينظر الى الباب تحسب جيوبه يفتش عن المفتاح . طبطب على الزجاجة في جيبه . رنت في اذنه كلمات المؤلف :

— لكي تصرف المعاش لا بد من تقديم شهادة اثبات حياة .
— مجاتين . اقف امامهم بلحي ودي ويقولون لي قدم شهادة اثبات حياة ؟
البحر هذا جنونا ؟
انحدر اليه من الطابق الثاني صوت امرأة ،
— لا بد ان نقع به الى فتور آخر .. انا لست مطمئنة الى رأي هذا الدكتور .

— اه .. انها قدريه زوجة خليل افندي .. مسكين كان الله نسي عوننا انا لا اعرف كيف تقدر هذه المرأة الى الصراخ في كل وقت .
سعل .. اهتز جسيه .. فكاد يسقط . استند بيده الى حائط السلم ثم وقف في بطن تحسس الزجاجة التي في جيبه . اخذت اقدامه تبحث عن الدرجات تزحف عليها . لحقه صوت خليل افندي .

— يا قدريه تكري بعقل . من يسمعك الان يعتقد اني عديم الرحمة . انت تعرفين اين ذهب المرتب . ابتمس عمران في سخرية . قال يحدث نفسه :

— نساء واولاد .. وصراخ وشجار . وقف امام حجرته .. اصوات قدريه وزوجها تملأ اذنيه

..فتح باب الحجرة . خطا السى الداخل . اخرج الزجاجة من جيبه . وضعها على ترابيزة صغيرة بجوار السرير . وضع العصا على صيوان صغير لللائس بجوار الباب . اغلق الحجرة . خفت حدة صياح الزوجين . خلج حلتها . الفاها على مقعد السرير اخرج من تحتها مائة لا لون لها . فتح النافذة الوحيدة التي نسي الحجرة قبل ان يجلس الى الزجاجة . اتى اليه صوت الزوجين واضعاير النور . اخذ نصمت الى الشجار وهو يتجرع ما في الزجاجة . ترات له صورة الفتاة التي اهتم بها المؤلف .. انها تشبه سميحة في صفرها . هل هي حقا اينتها ؟ . ولم لا ؟ . انها تشبهها تماماً ، ربما ارسلتها امها تصرف معاش والدها . وانا لا اعرف ان اسرف معاشي . هذه هي ميزة النساء الوحيدة يعرفن من اين تقضى المصالح . كان يمكن ان تكون هذه الفتاة ابنتي ولكن الله سلم . يمكن ان اذهب الى والدتها فسي الصباح لنذهب معا السى ادارة المعاشات لعل الله يحزن قلوبهم . او يثبت عقولهم فلا يطلبون مني هذه الشهادة السخيفة .. شهادة اثبات الحياة .

يا ترى هل ستعرفني سميحة ؟ تحسس وجهه باصابع يديه . ياترى هل مازالت جميلة ؟ لقد تنبع بها المليجي . ولكني تبعت بالف سميحة .. وقف صياح الزوجين انصمت عمران الى السكون الذي خيم على المكان . وقف في الحجرة .

اقترب من النافذة ، استمع السى وقع اقدامه . نظر الى ساعته ، لماذا ينام الناس مبكرين هكذا ؟ ان الليل لم ينصف بعد ، حمل اليه السكون بكاء طفل في البيت المقابل ، ابتمس لحظات ، سكك الطفل ، غفر فاه وتساءل :

بالترايزة صوتا . اخذ يحركها وينصت
الى صوتها . تبعت يده بعد مرات .
انصت الى النافذة . لا صوت .

نام الجميع ، خيل اليه ان يصيح
بهم :

— لا تناموا اريد ان اسمع اصواتكم
الا تعلمون اني انصت اليكم . لا
تناموا . انا خائف . لا اريد ان انام
انا خائف من النوم .

وامتدت يده الى المرأة فنظر فيها .
العرق يبلل وجهه . مر بيده على
وجهه يزيل ما عليه من عرق . نظرت
الى عينيه الضيقتين والى انفه
تذكر وجه والده وهو على فراش
الموت . اغمض عينيه ، احتلت ذهنه
صورة قبر مفتوح واربعة رجال
يحاولون جسم انسان ملفونا بقياس
ابيض . وذراعان عاريان يمتدان من
داخل القبر يجذبان الجسم الى
الداخل .

طه حواس

صدره ضغط عليها باصابعه . تأكد
من وجود النقود بداخلها . ارجعها
الى مكانها . اعاد الوسادة حيث كانت
.. واسلم جسمه المنهوك للسريبر .

نظر في سقف الحجرة . في الركن
المقابل له حشرة سوداء مملتسة
بخيوط عنكبوت . صاح اللفل مرة
اخرى . رفع عمران رأسه في بطء .
نظر تجاه النافذة . حاول النهوض
فلم يستطع تحريك مخذبه . خيل
اليه ان جسمه قد التصق بالفراش .
قفزت الى ذهنه صورة الموظف الذي
طلب منه شهادة اثبات الحياة .

— انهم يريدون ان يأكلوا اموال
الناس . كيف يقف الانسان امامهم
بلحه وشحمه .. لاحت منه التفاتة
الى وجهه في المرأة الموضوعة فوق
الترايزة . غضون متشابكة انه
يشبه انف والده يوم وفاته . تذكر
انه مات فجأة .. لم يمرض . حول
وجه المرأة . احدث احتكاكها

— لماذا في هذه الليلة بالذات
يسكت الطفل بسرعة هكذا ، هل
اصابه شيء ؟ ام انا الذي لم اعد
اسمع ؟

وقدرية وزوجها انتهى خلافهما
بسرعة .

خيم السكون على البيت وزحف
بملا حجرته ، تعب من السير في
الحجرة والانشات الى وقع اقدامه .
جلس على حافة السريبر . لاحظ ان
ام هنية التي تسكن في الحجرة
السفلى لم تصرخ به ليكف عن
الحركة التي تغلقها . ولم تدع الله
ان يهد عانيته لكي ينام . ولكنه تذكر
انها مريضة . وقد زارها اولادها
وكثير من اقاربها .

ناس لم يحضروا اليها من قبل .
ولكنهم علموا انها ستموت وان لديها
ميلقا كبيرا من المال . تخصصس
عمران حاشية السريبر . جذب
حافتها من تحت الوسادة ضمها الى

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من منشورات دار ذات السلاسل

المياه والسكان
في الكويت

تأليف

فاطمة حسين العبد الرزاق

الغوص على اللؤلؤ
في المصادر العربية القديمة

تأليف

عبدالله يوسف الغنيم